عمر الإمام المهدي عليه السلام

في

كفة الحسابات

الشيخ نجم السبتي

عمر الإمام المهدي (ع)

في

كفة الحسابات

هويّة الكتاب

اسم الكتاب: عمر الإمام المهدي عليه السلام في كفّة الحسابات

المؤلف: الشيخ نجم السبتي

الناشر: دار المجتبى

الطبعة: الأولى / ١٣٨٤

المطبعة: البرهان

عدد المطبوع: ٢٠٠٠

شابك: **964- 8762-52-X**

عمر الإمام المهدي (ع)

في

كفة الحسابات

تأليف

الشيخ نجم السبتي

مقدمة

غيـــبة الإمـــام المهـــدي (عـــج) فيها جنبات عدة ، ومن بينها مسألة طـــول عمـــر الإمـــام (عـــج) ، وذلـــك لأن للإمـــام غيبتين ، كما نصت الأحاديـــث الكثـــيرة علـــيهما ، وقد سميت الغيبة الاولى بـــ (الصغرى)، والثانـــية بـــ (الكـــبرى) ، وكـــان أمد الغيبة الاولى ، من زمن إستلام الإمـــام المهـــدي (عـــج) للإمامـــة بعـــد وفـــاة أبـــيه الإمـــام الحســـن العســـكري عليه السلام ، إلـــى إعـــلان إنـــتهاء تلـــك الغيـــبة ، وذلـــك عند وفاة الســـفير الـــرابع علـــي بـــن محمد السمري سنة ٣٢٩ هـــ ، فيكون عمر هـــذه الغيـــبة مـــا يقـــرب من٧٥ سنة ، بإضافة عمر الإمام المهدي (عج) ـــ خمـــس ســـنوات ـــ حيـــن ابـــتدأ تلـــك الغيـــبة ؛ وأمـــا الغيبة الكبرى فابـــتداؤها مـــن إعـــلان إنـــتهاء الغيبة الصغرى سنة ٣٢٩هـــ ، وها هي مســـتمر حـــتى ظهـــور الإمـــام (عج) ، فيكون عمر الإمام إلى زمان كتابة هذه الكلمات ما يقرب من ١١٧٠ سنة ، وهذا عمر طويل بلا شك .

فوقعـــت مســـألة طـــول عمـــر الإمـــام المهـــدي (عج) موقع الأخذ والـــرّد فـــي التشـــكيك والقـــبول ، واستراح بعض للقول بأن الإمام المهدي

سوف يولد في آخر الزمان ، وذهب بعض إلى أن عمره الطويل ليس طبيعياً ، بل هو إعجازي ، والإعجاز لا يسأل عنه بـ (لِمَ أو لماذا).

ومن المعلوم أن كلا القولين لا يسدا الأفواه عن ترديد السؤال ، بل هما ليسا بجواب واقعاً وحقيقة ، حتى عند من أبداهما ، حيث إن جواب سؤال ما لابد أن يكون في صلب المسألة ، التي كانت محل السؤال ، دون الذهاب إلى جوانبها ، وفي موردنا محل السؤال عن طول عمر الإمام المهدي (عج) ، ومثل هذا الطول لم يكون متعارفاً عليه الآن ، أو فيما سبق .

فالمسألة المسؤول عنها واضحة ومشخصة ، والقاعدة الفكرية تقول معرفة السؤال نصف الإجابة . والإجابة في موردنا غير مستعذرة ، وذلك بالمراجعة إلى أن العمر الطويل هل رُزقه أحد من البشر قبل الإمام المهدي (عج) ؟ وهل يُرزقه أحد بعده ؟ ، فإن كان الجواب بنعم ، فلابد أن يفرق ما بين العمر الطبيعي لإنسان ما ، وبين ما هو الغالب من العمر لمجموعة أو لبلد أو لزمان ... .

هذا ولابد أن ينظر إلى مسألة العمر من جهة العوامل الهادمة له ، وكذا العوامل المطيلة ، ويرى أيُّ العوامل داخل في إرادة الإنسان ، وأيُّها خارج عنها ، هذا مضافاً إلى النظر لمسألة الأجل ، الذي قدّر للإنسان ، ومن المعلوم أن الإنسان عند حلول أجله يخرج من الدنيا ، لكن أيّ أجل ! هل الأجل الذي قدّر لعمره الطبيعي؟ أم ما يستعجله من الأجل ، لتقصيره بالأخذ للعوامل المطيلة للعمر ، أو يعمل بما يقصره .

ومـــن المعلـــوم أن العمـــر الطويـــل طبيعـــي ، وقـــد حصل لأناس كثيريـــن ، ولكـــنه عـــندما يحصـــل لإمامـــنا المهـــدي (عج) يكون غريباً وغـــير مـــتعارف ؛ هـــذا مضـــافاً إلى الدرجة العلمية في معرفة الأمور ، التـــي يتمـــتع بهـــا أئمتـــنا عليهم السلام ، وأحدهـــم الإمـــام الثاني عشر (عج) ، فهـــو قـــادر علـــى تشـــخيص ما يطيل عمره ، إن قدّر له طول العمر في الحـــياة ، هـــذا مـــن جانـــب ومـــن جانب آخر ، لابد من النظر في عمر الإمامـــة ، التـــي تُختـــتم بالإمـــام المهدي (عج) ، كما نص رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك .

النقطة الاولى :

العمر

(الشيخ يكبر ويضعف جسمه ، وقلبه شاب على حب اثنين طول العمر والمال)

الرسول الأكرم ﷺ

لفــظ العمــر كباقــي الألفــاظ العربــية ، التــي تناولتها الصحاح والقوامــيس وكتــب اللغــة ، ومــن طبيعة البحوث أنّها تدور حول مفاهيم ومعانــي ، وكلاهمــا لا يؤديــان إلاّ بالألفــاظ ، ولمعــرفة حــدود اللفظ وطبيعــته ، لا بــد مــن المــراجعة لمظان ذلك ، نعم لا يمكننا القول بأنّ الــرجوع لــتحديد اللفــظ مــن صــلب الــبحوث وذاتــياتها ، بل هو من المقدمــات ، التــي لا يمكــن الإســتغناء عــنها فــي تلك المجالات ، ولذا نــتعرض لمــا جــاء فــي اللغــة في خصوص تلك المادة (ع ، م ، ر) وما يرتبط بها .

ففــي لســان العــرب تحت مادة : (عمر) : العَمْر والعُمُر والعُمْر : الحــياة يقــال قــد طــال عَمْــرُه وعُمْرُه ، لغتان فصيحتان ، فإذا اقسموا قــالوا : لَعَمْــرُك ، فــتحوا لا غــير ، والجمــع أَعْمــار . وسمي الرجل عَمْــراً تفــاؤلاً أن يــبقى ، والعــرب تقول في القسم : لَعَمْرِي ولَعَمْرُك ، يــرفعونه بالإبــتداء ويضــمرون الخــبر كأنــه قــال : لَعَمْرُك قسمي أو يمينــي أو مــا أحلــف بــه ... وفي التنزيل الغزيز : ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي**

سَــكْرَتِهِمْ يَعْمَهُــونَ ﴾ ، لــم يقرأ إلاّ بالفتح ... وروي عن ابن عباس في قولـــه تعــالى : ﴿ لَعَمْــرُكَ إِنَّهُمْ ﴾ أي لحياتك، قال: وما حلف الله بحياة أحــد إلاّ بحــياة النبــي صلى الله عليه وآله. وقــال أبــو الهيــثم : النحويون ينكرون هذا ويقولون معنى لَعَمْرُك لدينك والذي تَعْمُر وأنشد لعمر بن أبي ربيعة :

أَيُّهــا المُــنْكِحُ الــثُّرَيَّا سُــهَيْلاً عَمْــرَكَ اللهَ كــيف يجْتَمِعان ؟[1]

وقــال الأصــفهاني فــي مفــرداته تحــت مــادة : (عمر) العمارة نقــيض الخــراب ، يقــال عَمَــرَ أرضه يَعْمُرُها عِمارَة ، قال : ﴿ وَعِمَارَةَ الْمَسْــجِدِ الْحَــرَامِ ﴾ يقــال عَمَّــرتُه فَعَمَــرَ فهــو مَعْمُــور قــال تعالى : ﴿وَعَمَــرُوهَا أَكْــثَرَ مِمَّــا عَمَــرُوهَا * وَالْبَيْــتِ الْمَعْمُــور ﴾ وأعمــرته الأرض واســتعمرته إذا فوضــت إلــيه العمــارة ، قــال تعــالى : ﴿ وَاسْــتَعْمَرَكُمْ فِــيهَا ﴾ والعَمْــرُ والعُمُــرُ اســم لِمُدَّة عِمَارَة البدن بالحياة فهــو دون الــبقاء فــإذا قــيل طــال عُمُرُهُ فمعناه عِمَارَة بدنه بروحه وإذا قــيل بقــاؤُهُ فلــيس يقتضــي ذلــك فــإنَّ البقاء ضدُّ الفناء ، ولفضل البقاء علــى العمــر وُصــفَ اللهُ به وقلَّما وُصفَ بالعمر، والتعمير إعطاء العمر بــالفعل أو بــالقول علــى ســبيل الدُّعــاء قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَــتَذَكَّرُ فِــيهِ * وَمَــا يُعَمَّــرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ * وَمَا هُوَ بِمُزَحْــزِحِهِ مِــنَ الْعَــذَابِ أَنْ يُعَمَّــرَ ﴾ وقولــــه تعــالى : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ ...[2] .

---

١ ــ لسان العرب : ج ٤ ص ٦٠١.

٢ ــ مفردات الفاظ القرآن : ص ٣٥٩ ــ ٣٦٠.

فمـــادة (ع ، م ، ر) ومشـــتقاتها فـــي اللغـــة واضحة في الزيادة ، أو مـــا يـــتأتى مـــنه الـــزيادة ، ومـــن المعلـــوم أنّ الـــزيادة فـــي الأشياء كـــل بحســـبه ، وبمـــا أن أهم الأشياء وأفضلها العمر الإنساني ، وذلك لما يتمـــتع بـــه الإنســـان مـــن مـــنزلة ومكانة ، حيث انفرد بخاصية التعقل ، التـــي تدعـــوه بالاهـــتمام بالـــنفس ومـــا يبقيها فحضي العمر الإنساني عند أبناء البشرية بالحب والتمني .

عـــن أبـــي هريـــرة ، عـــن النبي ﷺ قال : (الشيخ يكبر ويضعف جسمه ، وقلبه شاب على حب اثنين طول العمر والمال)[١] .

عـــن أبـــي عـــبد الله بـــن قـــيس ، أن أعرابياً قال : يا رسول الله : من خير الناس ؟ قال ﷺ: (من طال عمره وحسن عمله)[٢] .

قال أبو فراس :

مـــا العمر ما طالت به الدهور العمـــر مـــاتم بـــه الســـرور[٣]

وقال الشاعر :

ولذيـــذ الحـــياة أنفـــس في النفس وأشـــهى مـــن أن يمـــلّ وأحلـــى
وإذا الشـــيخ قـــال أف فمـــا مـــلّ الحـــياة وإنمـــا الضعف ملا

١ــ مسند أحمد : ج ٢ ص ٣٣٥.

٢ــ سنن الترمذ : ج ٣ ص ٣٨٧.

٣ــ قرى الضيف : ج ١ ص ١٠٨.

آلـــة العـــيش صـــحة وشـــبـــاب فـــإذا ولـــيا عـــن المـــرء ولى[١]

فوقـــع العمـــر موقـــع الصـــدارة للمفاهـــيم البشـــرية ، فشتغل الفكر البشـــري بـــتلك المســـألة ، وخاصـــة عـــندما عرف الموت وحاكميته على أفـــراد الإنســـانية ، وبذلـــك ازدادت المســـألة خطـــورة ، ولذا راح الفكر فـــي كـــل الأبعـــاد ـــ الماديـــة والمعـــنوية ـــ لإستقصاء الأسباب والعلل الهادمة للعمر ، وكذا الأسباب والعلل المحافظة عليه .

والمســـتبطن فـــي ذلـــك الإهـــتمام ، فطـــريّة حب إطالة العمر لـــدى البشـــر ، فكـــل فـــرد مـــن أبناء البشرية لو جرّد ونفسه ، بمعنى غـــض الـــنظر عـــن الظـــروف والأمـــور المشـــقّية له ، وكـــذا الظروف والأمـــور المســـعدة ، لوجدنـــاه محباً لإستمرار بقاء العيش والخلود في تلـــك الدائـــرة ، التـــي بيـــن يديـــه ، فمفهوم الخلود تعشقه النفوس البشرية بكـــل مللهـــا ونحلهـــا ، وهـــذا الخلـــود الذي عشقه الإنسان منذ وجد على ســـطح الكـــرة الأرضـــية ليس الخلود الأبدي ، الذي لا يتطرق إليه الفساد ولا يعـــتريه الفـــناء ، وإنمـــا الخلـــود الذي هو البقاء على قيد الحياة الدنيا، لأطول ما يمكن من الأعوام .

قـــال الراغـــب الأصـــفهاني فـــي مفرداته تحت مادة : (خلد) الخُلُودُ هُـــوَ تَـــبَرِّي الشـــيءِ مـــنَ اعـــتراض الفَســـادِ وبقاؤُهُ عَلَى الحَالَةِ التي هو علـــيها ، وكـــلُّ مـــا يَتَـــباطأُ عـــنه التغيـــيرُ والفسادُ تَصِفُهُ العَربُ بالخُلودِ

١ـــ قرى الضيف : ج ١ ص٢٩٢.

كقولهم لِلأَثافي[١] خَوَالِدُ ، وذلك لطُولِ مُكْثِهَا لا لِدَوامِ بقائِهَا . يقالُ خَلَدَ يَخْلُدُ خُلُوداً ، قال تعالى : ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ**﴾ والخَلْدُ اسمٌ للجُزْءِ الذي يبقَى منَ الإنسانِ عَلَى حالَته ، فلا يَستحيلُ ما دَامَ الإنسانُ حيًّا استحالةَ سائر أجزَائه ، وأصل المُخلَّد الذي يبقى مدَّةً طويلةً ومنهُ قيلَ رَجُلٌ مُخلَّنَدٌ لِمَنْ أبطأَ عنهُ الشيبُ ، ودابةٌ مُخلَّدةٌ هي التي تَبقَى ثَنَاياهَا حتى تَخْرُجَ رَبَاعِيَّتها ، ثم استعير لِلْمَبقِيَّ دائماً ، والخُلودُ في الجنّة بقَاءُ الأشياءِ عَلَى الحَالةِ التي عليها مِنْ غَيْرِ اعتراضِ الفسَادِ عليها ، قال تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون * أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ**﴾ قيلَ مُبْقُونَ بحَالتِهم لا يَعتَرِيهمُ استِحَالَةٌ ، وقيلَ مُقَرَّطونَ بخلَدَةٍ ، والخَلَدَةُ ضَرْبٌ مِنَ القُرطةِ ، وإخلادُ الشيءِ جعلُهُ مُبْقى والحكمُ عليه بكونِه مُبقى ، وَعَلَى هذا قولُهُ سبحانه : ﴿ **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ**﴾ أي ركنَ إليها ظانًا أنه يَخلُدُ فيها[٢] .

فالخلود بمفهومه محبوب عند الإنسان ، وشدة الحب لذلك المفهوم لم تدع الإنسان يميز بين الخلود الذي بمعنى البقاء لمدة من الزمن ، وبين الخلود الأبدي ، والتميز بينهما من المسائل المهمة في

---

١ ــ الأثافي : جمع الأثفية بالضم والكسر ــ على أفعولة ــ وهي الحجارة التي تنصب ويجعل القدر عليها . مجمع البحرين : ج ١ ص ٣١٣ .

٢ ــ مفردات الفاظ القرآن : ص ١٥٥.

سير الإنسان التكاملي ، وليس مورد بحثنا في ذلك ، وإنما كلامنا في نفس المفهوم ــ الخلود ــ الذي بالمعنى الأوسع ، والجدير بالذكر أن حب الخلود عند أفراد الإنسانية فطري ، ومن أبرز علامة فطريّته ، أنّ الجميع مشترك فيه ، ساع إليه بكل ما أتي من حول وقوة ، ويشهد لما قلناه أنّ القرآن عندما يوعد بثواب ، أو يتوعّد بعقاب ، ينوطهما بالخلود ، فالثواب والعقاب بنفسيهما لا يكفيان ، حيث يمكن ترك الثواب إن لم يكن خالد ، وتحمل العذاب إن كان لأمد محدد ، وأما عندما يكونا خالدين ، فلا مجال للوقوف عندهما ، بل لا بد من الوقوع في أحدهما ، وذلك لسعي الإنسان الفطري تجاه أحد الطريقين.

قال تعالى : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ**

١ــ سورة النساء : آية ١٣.

٢ــ سورة النساء : آية ١٢٢.

لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[١] .

ومما جاء في آيات العذاب :

قولـــــه تعـــالى : ﴿ **فَـــادْخُلُوا أَبْـــوَابَ جَهَـــنَّمَ خَالِدِيـــنَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾**[٢] .

وقولـــــه تعـــالى : ﴿ **إِلاَّ بَلاغـــاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾**[٣] .

وقولـــــه تعـــالى : ﴿ **وَالَّذِيـــنَ كَفَـــرُوا وَكَذَّبُـــوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾**[٤] .

هـــذا والقـــرآن لـــم يـــترك الـــتعرض للجانـــب الآخر ، من الحالة النفســـية ، التـــي بـــات علـــيها أغلـــب الـــناس ، وهي الاستعجال بالأخذ بـــالخلود ، وإن كـــان ذلـــك الخلـــود ليس هو الخلود الأبدي ، فالغالب على أفـــراد البشـــرية الـــركون للحـــياة الدنيا ، والتمسك بعراها ، تصوراً منهم بإمكـــان الـــبقاء علـــى قـــيدها أبـــدا ، ونقـــول تصوراً ليس جزافاً ، وذلك لإرتكازيـــة حـــب الخلـــود في نفوسهم ، وإلاّ معلوم عند الإنسان أن الحياة الدنـــيا لـــم تكـــن محـــلاً لخلـــود أحـــد ، وإن عمّر ما عمّر ، ولكن النفس ومكـــرها بأصـــحابها ، توهمهـــم أن اللحظـــة التـــي يعشـــونها ، مع أمل

١ــ سورة البينة : آية ٨ .

٢ــ سورة النحل : آية ٢٩.

٣ــ سورة الجن : آية ٢٣.

٤ــ سورة التغابن : آية ١٠.

مجيء اللحظة الثانية ، وهكذا ، هو الخلود المنشود .

قال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾[٣] .

فتبين من خلال ذلك كله مفهوم العمر ، وأهميته ، وأن فيه طول وقصر ، وأن فيه خسارة وكسب .

العمر = حياة الإنسان

١ــ سورة الأعلى : آية ١٦.

٢ــ سورة القيامة : آية ٢٠.

٣ــ سورة ابراهيم : آية ٣.

النقطة الثانية :

حساب عمر الإنسان

قال عمر : متى نكتب التأريخ ؟ فجمع المهاجرين ، فقال له علي عليه السلام : من يوم هاجر النبي صلى الله عليه وآله وترك أرض الشرك ...

تعــارف لــدى البشــر مــن أوائــل وجودهــم علــى سطح الكرة الأرضــية ، حســاب الزمــن ، فوجــدت له أنواع كثيرة ، ومن أشهرها الســنة الشمســية ملاديــة وهجــرية ، والقمرية الهجرية ، وذلك لإختلاف الــناس فــي اتخــاذ آلية مقياس الحساب ، فمنهم من بنى حسابه على سير الشــمس والكواكــب الأخــرى ، ومــنهم مــن بنى على سير القمر ، وقد أشار القرآن الكريم لكلا الأمرين .

قــال تعــالى : ﴿ **وَلَقَــدْ جَعَلْــنَا فِــي السَّــمَاءِ بُــرُوجاً وَزَيَّــنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾ [1] .

وقــال تعــالى : ﴿ ... **وَالْقَمَــرَ نُــوراً وَقَــدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ** ...﴾ [2] .

هــذا مضــافاً لإخــتلافهم فــي لغــاتهم وأماكنهم وللظروف (البيئية والإقتصــادية والإجتماعــية ...) ، التــي يعيشــونها ؛ وقــد أخــذ حساب

١ــ سورة الحجر : آية ١٦.

٢ــ سورة يونس : من الآية ٥ .

الزمـــن ومعرفـــته عـــندهم المكانـــة العلـــيا ، وذلـــك لإرتـــباطه بـــالأمد المضروب لبقائهم على قيد الحياة .

وكانـــت حســـابات الزمـــن عـــند البشر تعتمد على حادثة ما ، ولكن يشـــترط فـــيها أن تكـــون معلومـــة لدى المجموعة البشرية ، التي تريد أن تـــؤرخ لنفســـها ، فـــيأخذوا بالحســـاب مـــن تلـــك الحادثة ، مع الإرتباط بطلـــوع الشـــمس وغـــروبها ، وبـــدوران الأرض حول الشمس بفصولها الأربعـــة ، مضـــافاً لمـــنازل الكواكـــب الأخرى ، فتكون سنتهم شمسية ، وإما بالإرتباط بدوران القمر حول الأرض ، فتكون السنة قمرية .

يـــنقل الزهـــري والشـــعبي أنـــه لما هبط آدم عليه السلام من الجنة وانتشر ولـــده ، أرخ بـــنوه هـــبوط أدم عليه السلام فكـــان ذلـــك التأريخ ، حتى بعث الله نوحـــاً عليه السلام فـــأرخوا ببعـــث نـــوح عليه السلام ، حتى كان الغرق فكان التأريخ مـــن الطوفـــان ، إلـــى نـــار إبراهـــيم عليه السلام فـــأرخ بـــنو إسحاق من نار إبراهـــيم عليه السلام إلـــى بعـــث يوســـف عليه السلام ، ومـــن بعث يوسف إلى بعث موســـى عليه السلام ، ومـــن بعـــث موســـى عليه السلام إلى ملك سليمان عليه السلام ، ومن ملـــك ســـليمان إلـــى بعـــث عيســـى عليه السلام ، ومـــن بعث عيسى إلى مبعث رســـول الله صلى الله عليه وآله ، وأرخ بـــنو اســـرائيل مـــن نـــار إبراهيم عليه السلام إلى بناء البيـــت حيـــن بـــناه إبراهـــيم وإســـماعيل عليهما السلام ، فكـــان التأريخ من بناء البيـــت، حـــتى تفرقـــت معـــد ، فكـــان كلمـــا خرج قوم من تهامة أرخوا مخـــرجهم ، حـــتى مـــات كعـــب بـــن لؤي ، فأرخوا من موته إلى الفيل ، فكـــان الـــتأريخ مـــن الفـــيل ، حـــتى أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة ،

وذلك سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة [١] .

فالحاجـــة إلـــى معـــرفة وحـــدات الـــزمان ممـــا لا تنكر ، حيث بها إنـــتظام أمـــر الـــناس ، وبـــدون تشخيص وحدات الزمن بأي شكل كانت ، يقـــع الهـــرج والمـــرج بيـــن أفـــراد البشـــر ، فالجمـــيع مشتركون ، بل ومـــتفقون ، علـــى الحاجـــة لمعـــرفة وحدات الزمن وسيره ، وتلك الحاجة تدعـــو الإنســـان لإتخـــاذ أمـــر ما نقطة إنطلاق لحساب الوحدات الزمنية ، فمعـــرفة الـــزمان ، وكيفـــية حســـابه ، دائرة بين أهمية نفس الحساب عند الإنسان ، وبين الحاجة له .

عـــن مـــيمون بـــن مهران قال : رفع إلى عمر صك محله شعبان ، فقـــال : أي شـــعبان ، الـــذي يجـــيء ، أو الذي مضى ، أو الذي هو آت ؟ ثـــم قـــال لأصـــحاب النبـــي ﷺ : ضـــعوا للـــناس شـــيئاً يعـــرفونه من التأريخ... [٢] .

ويـــنقل أن الـــذي أشـــار علـــى عمـــر بنقطة ابتداء تأريخ المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام ، عندما جمع صحابة النبي ﷺ لذلك .

عـــن ابـــن المســـيب : قـــال عمـــر مـــتى نكتـــب التأريخ ، فجمع المهاجريـــن فقـــال له علـــي عليه السلام : من يوم هاجر النبي ﷺ وترك أرض الشرك ، ففعله عمر ... [٣] .

١ــ الدر المنثور : ج ١ ص ١٥١.

٢ــ كنز العمال : ج ١ ص ٣١٣ / ٢٩٥٦٥.

٣ــ بحار الأنوار : ج ٤ ص ٢١٨.

وبعد ما تبين أنّ معرفة وحدات الزمن ، وكيفية حسابه ، من مرتكزات البشرِ ، وأنّ لهم في ذلك طرق وأساليب ، وقد قام بعض بتخطيئ طريقة بعض ، وسلك قوم طريقة ، غير التي كانت عند من سبقهم ، ولمعرفة ذلك نحتاج إلى خبرة اصحاب الإختصاص ، وبما أنّا ليس في صدد ذلك ، وإنما أردنا التعرض إلى مرتكزات أفراد الإنسانية في مجال الحسابات الزمنية ، مضافا إلى حاجتهم ، فيمكننا القول بأنّ أي إنسان ، وتحت أي طريقة من حساب الزمن ، محب لقطع أكبر كمية من الوحدات الزمنية .

قال تعالى : ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال : (الشيخ شاب في حب اثنتين طول الحياة وكثرة المال)[2] .

فتبين أنّ الشيء الأساسي عند الإنسان ، ليس هو حب نفس طريقة حساب الزمن ، وإنما المحبوب طول الحياة ، ولا يخرج عن هذا الطور من الحب ، إلاّ لعارض تولّده قساوة الظروف (الإجتماعية، المالية ، السياسية ...) ، وعند زوال العارض يعود سراعاً ، إلى مرتكزه الأصلي في حب إطالة العمر .

١ــ سورة البقرة : آية ٩٦.

٢ــ مسند أحمد : ج ٢ ص ٣٧٩.

قال زهير بن أبي سلمى في معلقته :

سـئمت تكاليف الحياة ومن يعيش

ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم[١]

ويشهد لما قلنا أن الإنسان حريص على ما يمنحه طول الحياة، ولذا ذهب كل بحسب ما تمليه عليه معتقداته ، ورؤيته الكونية ، فأخذ كل يتتبع الأسباب المطيلة للحياة ، وتجنب كل ما هو مهلك وفانٍ لها، ولو احتمالاً .

١ــ خزانة الأدب : ج ٢ ص ٤٢٢.

النقطة الثالثة :

العوامل المؤثرة في إطالة العمر

سئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول الله ﴿ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ ، قال : (هما أجلان ، أجل موقوف يصنع الله ما يشاء، وأجل محتوم) .

الحـــياة التـــي نعيشـــها حكمـــت بالأســـباب والمســـببات ، وكل أمر مســـبب لابـــد له مـــن ســـبب ســـبقه فـــي الوجود ، ولو بسبق رتبي دون الزمانـــي ، والســـيرة العقلائـــية عرفـــت ذلك من أقدم عصورها ، بل من ينكر ذلك يعدّ في نظرها شاذ عن الطبيعة العقلائية .

وإطالـــة العمـــر والـــبقاء علـــى قيد الحياة شئ من الوجودات ، وهو بذلـــك لا يخـــرج عـــن دائـــرة الموجودات ، في إفتقارها إلى علة وسبب ، يعطـــيها الوجـــود ، وفـــي هـــذه الـــنقطة مـــن البحث نود التعرض ، ولو بنحو الإختصار للأسباب والعلل المطيلة للعمر .

السبب الاول : الغذاء ومستلزمتها

الإنســـان كباقـــي المخلوقـــات ، بـــل وأوضحها في الميل إلى طلب الغـــذاء ، وقـــد عـــرف هـــذا المـــيل لديه من أقدم عصوره ، فإثبات سعيه إلـــيه لا يحـــتاج إلـــى دلـــيل ، بـــل وخـــارج عن دائرة الإمكان ــ ما بين الوجـــود والعـــدم ــ لوقوعـــه خارجاً ، بل الوقوع الخارجي له على نحو

تعـــدد أفـــراد الإنســـانية ، حيـــث لـــم يسمع بإنسان عاش من غير غذاء ، فالأمـــر فـــي طلـــب الغـــذاء لا يحـــتاج إلـــى كثـــير مؤنـــة فـــي البيان والإســـتدلال، وبمـــا أن أمـــر الغـــذاء والطعام واضح لدى الإنسان ، فجُعل أمر يستدل به على غيره .

قـــال تعـــالى : ﴿ **فَلْيَـــنْظُرِ الأِنْسَـــانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَـــبّاً * ثُـــمَّ شَـــقَقْنَا الأَرْضَ شَـــقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْـــتُوناً وَنَخْـــلاً * وَحَدَائِـــقَ غُلْـــباً * وَفَاكِهَـــةً وَأَبّـــاً * مَـــتَاعاً لَكُـــمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** ﴾[1] .

وأهمـــية الغـــذاء ممـــا لا تـــنكر ، ففيه قوام هيئة الإنسان وبقاؤه ، حيـــث إن الأعضـــاء الماديـــة فـــي جسم الإنسان تحتاج إليه ، كي تواكب مســـيرتها فـــي العطـــاء والفاعلـــية ، فـــبقاء الإنســـان حياً لابد أن يسبقه مستلزمات ذلك ، ومن أفرادها وجود الغذاء في ساحته ومعرفته به .

وحاجـــة الجســـم للغـــذاء فـــي الإســـتمرارية والحـــيوية من خواص الجســـم المـــادي ، ســـواء كان ذلك الجسم لصغير أم كبير ، انثى أم ذكر، رسول أم مرسل إليه .

قـــال تعـــالى : ﴿ **وَمَـــا جَعَلْـــنَاهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ** ﴾[2] .

وقد جاء في اللغة :

١ــ سورة عبس : من آية ٢٤ إلى آية ٣٢.

٢ــ سورة الأنبياء : آية ٨.

الغـــذاء : مـــا يـــتغذى بـــه مـــن الطعـــام والشراب ، يقال : غذوت الصبي باللبن فأغتذى ، أي ربيته به[١] .

وفـــي لســـان العـــرب : غـــذا: الغذاء ما يتغذى به ، وقيل ما يكون به نماء الجسم وقوامه من الطعام والشراب واللبن[٢] .

فالمـــيل للغـــذاء مـــن كمـــالات الأجســـاد المادية ، ولذا تعارف عند العقـــلاء الســـعي خلـــف الأســـباب ، التـــي توفر الغذاء وتؤمنه ، وللأمور والمستلزمات ، التي تظهره بألذ وأطعم صورة .

قـــال تعـــالى : ﴿ **لَـــيْسَ عَلَـــى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾[٣] .

فالســـعي خلـــف الغـــذاء لتحصـــيله وتحضـــيره ليس معيباً ، بل من يقصّـــر فـــي ذلـــك تجـــاه نفسه ، أو لمن تحت تكفله يُخطّأ عرفاً وشرعاً ، فتحصـــيل القـــدر المبقـــي لحياة الجسم من الغذاء واجب على القادر ، وقد ســـعى الإنســـان فـــي تحصـــيل الغـــذاء علـــى مرّ العصور ، وفي جميع الـــبقاع ، التـــي أمكـــن الوصـــول إليها ، والملاحظ في مسيرة الإنسان في هـــذا المجـــال أن ســـعيه للغـــذاء وتحضيره يتدرج سلّم الأفضلية للنوعيّة ، والوســـائل ، والصـــحة ... ومـــا ذلـــك إلاّ لتطور الفكر عنده ، بالإطلاع وطـــول الـــتجربة ، فاعـــتمد الإنســـان فـــي أول عصـــوره على الصيد ،

١ــ الصحاح : ج ٦ ص ٢٤٤٥.

٢ــ لسان العرب : ج ١٥ ص ١١٩.

٣ــ سورة المائدة : من الآية ٩٣.

وتجميع المواد النباتية ، ولم يعرف آنذاك أساليب جيدة لحفظ الطعام ، فيحتم عليه الأمر أن يتناول الصيد والطعام القابل للتلف سريعاً حال حصوله عليه ، ولم يُعرف في تلك العصور وسائل للصيد ، إلاّ البسيط منها كالجري خلف الحيوان ، والقذف بالحجر ، والرمي بالرماح والسهام ، ثم أخذ بالتطور في كل جوانبه كنوعيّة الغذاء ، وأساليب الصحة ، ووسائل الصيد والخزن والتربية ... .

فالغذاء بنفسه حاجة للإنسان لحفظ بدنه من الإضمحلال ، والتأكل للأعضاء ، فبقاء البدن حياً منوطاً ببقاء الغذاء ووجوده ، ويشهد لهذا أن الإنسان في حالة عدم وجدان الطعام والغذاء يأكل ما لا يشتهيه ، بل يأكل ما لم يكن يعدّه من الطعام ، والشرائع السماوية مع أنها حرمت على الإنسان بعض الأطعمة ، لما فيها من ضرر عليه ، لكنها جوزت له تناولها عند الإضطرار كتوقف الحياة على الأطعمة المحرمة ، عند فقدان المحللة ، أو للدواء ، أو لغصب الظالم عليها ...[1] ؛ هذا بالنسبة للغذاء كحاجة يتوقف عليها حياة بدن الإنسان .

وللغذاء طور آخر يكمن في إعطاء البدن فاعلية أكثر ، وذلك

١ــ ومن اللواحق النظر في حال الاضطرار ، وكل ما قلناه بالمنع من تناوله ، فالبحث فيه مع الاختيار ، ومع الاضطرار يسوغ التناول ، لقوله تعالى : ﴿مَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عليه﴾ ، وقوله : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ ، ولقوله : ﴿ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ . شرائع الإسلام : ج ٤ ص ٧٥٧ .

مـــن خـــلال المعـــرفة بنوعـــيّة الأغذيـــة ومـــا تحـــتويه مـــن طاقـــات (vitamines) ، مضـــافاً إلـــى معـــرفة مـــا يلائم البدن ، فالأبدان مختلفة فـــي نوعيّـــتها وحجمهـــا وأحوالهـــا ، وهذا الجانب من جوانب الغذاء من مختصات علم الطب .

فقـــد حكـــي أن الرشـــيد كـــان له طبيب نصراني حاذق ، فقال ذات يـــوم لعلـــي بـــن الحســـين بن واقد ، ليس في كتابكم من علم الطب شئ ، والعلـــم علمـــان : علـــم الأديـــان ، وعلم الأبدان ! فقال له علي : قد جمع الله الطـــب كلـــه فـــي نصـــف آية من كتابه ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَكُلُوا وَاشْـــرَبُوا وَلا تُسْـــرِفُوا إِنَّـــهُ لا يُحِـــبُّ الْمُسْـــرِفِينَ** ﴾ ، وجمـــع نبينا ﷺ العلـــم فـــي قولـــه: (المعدة بيت الداء ، والحِمَية رأس كل دواء ، وأعط كـــل بـــدن مـــا عودتـــه). فقـــال الطبيـــب : مـــا ترك كتابكم ، ولا نبيكم لجالينوس طباً [١] .

وقـــال ابـــن خلـــدون : (هـــذه الصـــناعة ضـــرورية فـــي المـــدن والأمصـــار لمـــا عـــرف مـــن فائدتهـــا فإنَّ ثمرتها حفظ الصحة للاصحَّاء ودفع المرض عن المرضى ...)[٢] .

وقـــد قطـــع هـــذا العلـــم أشواطاً في التقدم ، بل وله قفزات كبيرة في الرقـــي ، ومـــن أبـــرزها أنـــه بعد ما كان مجموعة قواعد يمكن للفرد أن

١ــ تفسير مجمع البيان : ج ٤ ص ٢٤٤.

٢ــ مقدمـــة ابـــن خلـــدون : الفصـــل التاســـع والعشـــرون فـــي صـــناعة الطب ... ص ٤١٥.

يحويهـا درايـةً وتطبـيقاً ، أصـبح علماً واسعاً ، فانفتح مجال التخصص فـيه ، كـي تـتم السـيطرة من قبل المشتغلين ، بل أصبح التخصص في عضـو واحـد مـن أعضـاء المـريض ، فضـلا عـن التخصـص في الأعضـاء ، فالبصـر أحـد أعضـاء الإنسـان وكان محل الإختصاص ، حـتى غـدا محـل للتخصـص كالتخصـص فـي الشـبكية والصـلبة والمشيمة... .

والكـلام كـل الكـلام فـي أن الغـذاء الصحيح هل يمكنه أن يمنح الإنسـان عمـراً اطـول ؟ والأفضـل في بيان ذلك أن ننقل شيئاً مما جاء فـي مقالـة المقـتطف فـي الجزء الثالث من السنة التاسعة والخمسين في ذيل عنوان : (هل يخلد الإنسان في الدنيا ؟) .

(فقـد تمكـن أحـد الجراحيـن مـن قطع جزء من حيوان وإبقائه حـياً، أكـثر مـن السـنين التـي يحياها ذلك الحيوان عادة ، أيّ صارت حـياة ذلـك الجـزء مرتـبطة بـالغذاء ، الـذي يقدم له بعد السنين التي يحـياها ، فصـار فـي الإمكـان أن يعـيش إلى الابد ما دام الغذاء اللازم موفوراً له .

وهـذا الجـراح هـو الدكـتور الكس كارل من المشتغلين في معهد ركفلـر بنـيويورك ، وقـد امتحـن ذلـك فـي قطعة من جنين الدجاج ، فبقيـت تلـك القطعـة حـية نامـية أكثر من ثماني سنوات ، وهو وغيره إمتحـنا قطعـاً مـن أعضـاء جسـم الإنسان من أعضائه وعضلاته وقلبه وجلـده وكليتـيه فكانـت تـبقى حـية نامية ، مادام الغذاء اللازم موفوراً لهـا، حـتى قـال الإسـتاذ ديمـند وبرل من أساتذة جامعة جونس هبكنس

أن كـــل الأجـــزاء الخلويـــة الرئيســـية مـــن جســـم الإنسان قد ثبت إما أن خلودهـــا بـــالقوة صـــار أمـــراً مثبـــتاً بالإمتحان ، أو مرجحاً ترجيحاً تاماً لطـــول مـــا عاشـــته حـــتى الأن ، وهذا القول غاية في الصراحة والأهمية علـــى مـــا فـــيه مـــن التحرس العلمي ، والظاهر أن أول من إمتحن ذلك فـــي أجـــزاء مـــن جســـم الحـــيوان هـــو الدكـــتور جاك لوب ، وهو من المشـــتغلين فـــي معهـــد ركفلر أيضاً ، فإنه كان يمتحن توليد الضفادع من بيضـــها إذا كـــان غـــير ملقـــح ، فـــراى أن بعـــض البـــيض يعيش زماناً طويـــلاً، وبعضـــها يمـــوت ســـريعاً ، فقـــاده ذلـــك إلى إمتحان أجزاء من جســـم الضـــفدع ، فتمكـــن مـــن إبقاء هذه الأجزاء حية زماناً طويلا ، ثم أثبـــت الدكـــتور ورن لويـــس وزوجته ، أنه يمكن وضع أجزاء خلوية من جســـم جنيـــن الطائـــر فـــي سائل ملحي ، فتبقى حية وإذا أضيفت إليه قليل مـــن بعـــض المـــواد الآلـــية ، جعلت تلك الأجزاء تنمو وتتكاثر ؛ وتوالت الـــتجارب فظهـــر أن الأجـــزاء الخلويـــة مـــن أيّ حـــيوان كان يمكن أن تعـــيش وتـــنمو فـــي ســـائل فـــيه ما يغذيها ، ولكن لم يثبت حينذ ما ينفي موتهـــا إذا شـــاخت . فقـــام الدكـــتور كـــاول وجرب التجارب المشار إليها آنفـــاً ، فأثبـــت مـــنها أن هـــذه الأجزاء لا تشيخ الحيوان الذي أخذت منه ، بـــل تعـــيش أكـــثر مما يعيش هو عادة ، وقد شرع في التجارب المذكورة فـــي شـــهر يـــناير ١٩١٢م ، ولقـــي عقبات كثيرة في سبيله ، فتغلب عليها هو ومساعدوه ، وثبت له .

أولاً : أن هـــذه الأجـــزاء الخلويـــة تـــبقى حـــية مـــا لم يعرض لها عارض يميتها ، أما من قلّة الغذاء ، أو من دخول بعض المكروبات.

وثانـــياً : أنهـــا لا تكتفـــي بالـــبقاء حية ، بل تنمو خلاياها وتتكاثر ، كما لو كانت باقية في جسم الحيوان .

وثالـــثاً : أنـــه يمكـــن قـــياس نموهـــا وتكاثـــرها ومعرفة إرتباطها بالغذاء الذي يقدم لها .

ورابعـــاً : أن لا تأثـــير للزمـــن أيّ أنهـــا لا تشيخ وتضعف بمرور الزمـــن ، بـــل لا يـــبدو علـــيها أقل أثر للشيخوخة ، بل تنمو وتتكاثر هذه الســـنة ، كمـــا كانـــت تـــنمو وتـــتكاثر فـــي السنة الماضية وما قبلها من الســـنين ، وتـــدل الظواهـــر كلّهـــا علـــى أنهـــا ســـتبقى حية نامية ما دام الباحـــثون صـــابرين علـــى مراقبـــتها ، وتقديـــم الغـــذاء الكافـــي لهـــا ، فشيخوخة الأحياء ليست سبباً بل هي نتيجة)[1] .

فمـــراعاة الإنســـان للغـــذاء نوعـــيّة وكميّة من شرائط الصحة للبدن، تلـــك الصـــحة التـــي بها تحيى الأبدان ، وتبقى فعّالة ما قدر لها من العمر في عالم الدينا .

قـــال الدكـــتور صـــبري القبّانـــي فـــي كـــتابه الغـــذاء لا الدواء : (فالعـــبرة ليســـت فـــي كمـــية الطعـــام الداخل إلى الفم ، بل في محتواه ، ومـــدى غـــناه بالعناصـــر ، التـــي يحـــتاج إليها الجسم ، من أملاح معدنية وفيتامنات ، وعوامل منشطة أو مهضمة)[2] .

١ــ نقلاً عن كتاب منتخب الاثر : ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠.

٢ــ الغذاء لا الدواء : ص ٦١٠.

وتجـــدر الإشـــارة إلـــى أنـــه لا تنافـــي بيـــن الإهتمام أو التوصّية بـــالغذاء ، وبيـــن الأجـــل المضـــروب لبقاء الإنسان في دار الدنيا ، وذلك أن أجـــل الإنســـان شـــيء قـــائم بنفســـه ، راجـــع أمره إلى خالق النفوس وبارئهـــا ، وقـــد جعـــل لحلوله أسباب كالموت والقتل والغرق والحرق... ومـــن بيـــن تلـــك الأســـباب المـــرض ، فكمـــا أن الإنسان بتعلّمه السباحة يدفـــع عـــن نفســـة لائمـــة موت الغرق ، فكذلك الغذاء بمراعة شرائطه ، تندفع عن الإنسان غائلة الموت بإختلال المزاج .

قـــال العلامـــة الطباطبائـــي : (فالتركيـــب الخـــاص الذي لبنية هذا الشـــخص الإنســـاني ، مـــع ما في أركانه من الإقتضاء المحدود ، يقتضي أن يعمّـــر العمـــر الطبيعـــي ، الـــذي ربمـــا حـــدوده بمائـــة ، أو بمائـــة وعشـــرين ســـنة ، وهـــذا هـــو المكـــتوب في لوح المحو والإثبات مثلاً ، غـــير أن لجـــيمع أجـــزاء الكـــون ارتـــباطاً وتأثيراً في الوجود الإنساني ، فـــربما تفاعلـــت الأســـباب والموانـــع ، التي لا نحصيها ، تفاعلاً لا نحيط بـــه ، فـــأدى إلـــى حلـــول أجلـــه قـــبل أن ينقضـــي الأمد الطبيعي ، وهو المسمى بالموت الإختراميّ)[1] .

وسوف يأتي توضح أكثر في مسألة الأجل إن شاء الله تعالى .

فتبيـــن أنّ مـــراعاة الغـــذاء لـــيس إلهـــاً بيده أجل الإنسان ، وإبقائه خـــالداً فـــي دار الديـــنا ، وإنمـــا هـــو ســـبب مـــن الأسباب ، ومقدمة من المقدمـــات ، التـــي بإمكانهـــا أن تمـــنح الإنسان الصحة ، فلا يأتيه الموت

١ــ تفسير الميزان : ج ٧ ص ١٠.

جـراء التقصـير فـيها ، لا أنـه لا يأتـيه المـوت من سبب أخر ، فإنّ أسباب الموت متعددة .

جـاء فـي مقالـة المقـتطف : (ولكن لماذا يموت الإنسان ، ولماذا نـرى سـنيه محـدودة لا تـتجاوز المأة ، إلاّ نادراً جداً ، وغايتها العادية سـبعون أو ثمـانون ؟ والجـواب أنّ أعضاء جسم الحيوان كثيرة مختلفة، وهـي مرتـبطة بعضـها بـبعض إرتباطاً محكماً ، حتى أنّ حياة بعضها تـتوقف علـى حـياة الـبعض الآخـر ، فإذا ضعف بعضها ومات لسبب مـن الأسـباب ، مـات بموتـه سـائر الأعضـاء ناهيك بفتك الأمراض المكروبـية المخـتلفة ، وهـذا ممـا يجعـل متوسـط العمر أقل جداً من السـبعين أو الثمانيـن ، لا سـيما وأنّ كثيريـن يموتون أطفالاً ، وغاية ما ثبـت الآن مـن الـتجارب المذكـورة أنّ الإنسان لا يموت لأنّه عمّر كذا مـن السـنين سـبعين أو ثمانين أو مأة أو أكثر ، بل لأنّ العوارض تنتاب بعـض أعضـائه فتـتلفها ، ولإرتـباط أعضـائه بعضها ببعض ، تموت كلّهـا ، فـإذا اسـتطاع العلـم أن يزيل هذه العوارض ، أو يمنع فعلها ، لم يـبقى مـانع يمـنع إسـتمرار الحـياة مئات من السنين ، كما يحيى بعض أنـواع الأشـجار ، وقلمـا ينتظر أن تبلغ العلوم الطبية والوسائل الصحية هـذه الغايـة القصـوى ، ولكـن لا يـبعد أن تدانـيها فيتضاعف متوسط العمر أو يزيد ضعفين أو ثلاثة ...)[1] .

فمـراعاة الغـذاء ومسـتلزماته ، فـيها حفـظ الـبدن مـن التأكل

١ـ نقلاً عن كتاب منتخب الاثر : ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

والفســـاد، وهـــذا جانـــب مـــن جوانـــب عدة ، تؤدي مراعاته إطالة العمر والعيش الهني .

السبب الثاني : البيئة وأحوالها :

الطبـيعة التـــي نعيشـــها بمـــا تحمـــل مـــن مكونات كالهواء والماء والأشـــجار والأنهـــار والـــبحار والســـواحل والجبال والأودية والصحاري والقفـــار والـــتلال والهضـــاب ... لهـــا وقع في نفوس البشر ، بل أن كل مـــن أقســـامها له وقـــع غـــير الآخـــر ، ولذا يميل الإنسان بطبعه إلى أن يـــرى كـــل أقســـامها ، بـــل ولـــه ميل لو اتيحت له الفرصة أن يعيش بكل قســـم مـــنها ، ولـــو لـــبرهة من الزمن ، هذا مع إنشداده للمكان الذي إعتاد علـــى ســـكناه ، أو كـــان فـــيه مسقط رأسه ، وبما أن في أغلب الأحيان لا توجـــد مـــندوحة لـــدى الإنســـان أن يدرك كل ذلك ، فلجأ للرسم والتصويو لأقســـام البيـــئة ، ثـــم تعلـــيقها علـــى الجدران ، وهذا من المعلوم أقل ما يمكـــن أن يفعلـــه تجـــاه طـــبعه ، الـــذي يلـــح علـــيه بالتزود من الطبيعة بأقصى ما يمكن .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا** ﴾[1] .

وقـــال تعـــالى : ﴿ **إِنَّ فِـــي خَلْـــقِ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْـــتِلافِ اللَّـــيْلِ وَالـــنَّهَارِ وَالْفُلْـــكِ الَّتِـــي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ**

١ــ سورة الكهف : آية ٧.

اللَّــهُ مِــنَ السَّــمَاءِ مِــنْ مَــاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُــلِّ دَابَّــةٍ وَتَصْــرِيفِ الــرِّيَاحِ وَالسَّــحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] .

نعــم يوجــد عــند الإنســان تفضيل لبعض أقسام البيئة على بعض ، ولعــل التصــور الســاذج يفهــم أن ذلــك ناشئ من لا سبب ، أو لمجرد الميــل لــيس إلاّ ، والصــحيح أن لذلــك سبب واضح ، والسبب كامن في نفــس الإنســان ، بــل ومــن مرتكزاته ، حيث إن التفضيل لبعض الأقسام نــاتج ، عمــا تحويــه مــن مميزات ، لها دخل مباشر في حياة الإنسان ، سواء لنفسه ، أو لمستلزماته كعمله ، وزرعه ، وأنعامه ... .

وليكــن مــن المعلــوم أن البيــئة والطبــيعة وإن قلــنا إن الإنسان بطــبعه منشــد تجاههــا ، وذلــك لتغلــب آثارها الإيجابية على السلبية ، فإنــنا لــم نــدع أن الطبــيعة إيجابــية بكــل أقسامها ، أو بأي درجة من درجــات أقســامها ، فالمــاء فــيه من المنافع ما لا يعد ، ولكن في اقسامه ودرجاتــه مــا يغــرق ويهــدم ويــتلف ... فالجانــب الســلبية في أقسام الطبــيعة موجــود ، وليــته يقــف عند الضرر المادي للإنسان ، بل يتعدى إلــى الجانــب المعــنوي مــنه ، فالمســافر إلى منطقة جميلة متفق على حســنها ، ومــرض هــناك ، أو تعــرض لحادث ما عكر مزاجه ، فالألم المــادي فــي جســده وإن إنــتهى ، ولكــن الألــم المعــنوي باقٍ ، حيث يتضــجر ولا يــبدي إرتــياح عــندما يــتذكر تلك المنطقة ، أو عندما يمرّ

١ــ سورة البقرة : آية ١٦٤.

اســـمها علـــيه ، فالمـــنطقة لـــم يتغير حسنها ، بل لعل حسنها في زيادة ، ولكـــن هـــذا الإنســـان غلـــب عليه أثر الحادث ، فغطى على حسن المنطقة عنده .

ومـــن مخلفـــات الأمـــور الســـلبية لـــبعض المـــناطقة ، أو المـــياه بأنهارها وبحارها .. ، أو للهواء بأنواعه إنعكاسات على تسميتها .

فـــيقال فـــي تســـمية تهامـــة ، والتـــي تســـمى بالغور أيضاً ، وهي الأراضـــي التـــي علـــى شـــاطئ بحـــر القلزم ، ممتدة عرضاً إلى سلسلة جـــبل الســـرة ، وســـموها تهامـــة لشـــدة حرها وركود ريحها ، حيث إن شـــدة الحـــر وركـــود الـــريح يسمى تهم ، فيقال تهم الحر إذا إشتد ، وأما تسميتها بالغور لإنخفاض أرضها [1] .

فـــالإطلاع علـــى المـــناطق والأماكـــن ، وتـــناول شـــرب المياه أو ركوبهـــا ، أو مشـــاهدتها ، والعـــيش فـــي أنـــواع الرياح والهواء ... مما هـــو محـــبوب عـــند الإنســـان ، ولكـــن هـــذا شـــئ والخصـــائص الجيدة والرديئة لأقسام الطبيعة شئ آخر .

وبمـــا أن بحثـــنا فـــي الجانـــب الثانـــي للطبـــيعة ــ إيجابـــياتها وســـلبياتها ــ فنـــتعرض له ولـــو بـــنحو الإشـــارات ، وإلاّ فهو من العلوم الواســـعة ، وفـــيه تخصصـــات كثـــيرة ، ولـــه تأريخ قديم وجديد ، بحسب تطور الإنسان بفكره ووسائله .

١ــ معجم البلدان : ج٢ ص ٦٣ ، ج ٤ ص ٢١٦.

وبعد ما تبين أن للطبيعة أقسام عدة ، ولكل قسم مميزات وخصائص مفيدة ، سواء تجاه الإنسان أو غيره ، ومميزات رديئة كذلك ، وبما أن كلامنا في إمكانية طول عمر الإنسان ، فنود أن نرى ألأقسام الطبيعة دخل في إطالة عمر الإنسان ؟ أم أن أنها خالية منه .

وقبل بيان ذلك نطلع على شئ يسير من خصائص بعض أقسام الطبيعة :

الماء:

قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ** ﴾ [1] .

الماء بنوعيه الصالح للشرب وغير الصالح يغطي ما يقارب ثلاثة أربع الكرة الأرضية ٧١% ، وبنفس هذه النسبة يقدر ما في جسم الإنسان من الماء ، فوجود الماء في كلا المحلين (في الطبيعة وجسم الإنسان) يكفي لبيان أهميته وحاجته بالنسبة للإجسام الحية وغير الحية ، هذا ماضافاً إلى كثرة تعرض القرآن له بخلاف تعرضه للسيابس (البر) من الأرض ، فقد ذكر في القرآن الكريم البحر في ٣٢ آية [2] ، مع أن اليابس (البر) ذكر ١٣

١ــ سورة الأنبياء : من الأية ٣٠.

٢ــ سورة النور: آية ٤٠، سورة الكهف : آية ٦١ ، سورة الكهف : آية ٦٣، سورة الكهف : آية ٧٩، سورة الكهف : آية ١٠٩، سورة لقمان : آية ٢٧، سورة لقمان ٣١ ، سورة السبقرة : آية ٥٠ ، سورة البقرة : آية ١٦٤، =

مـــرة [١] ، وقـــد أشـــارت بعـــض الإحصـــاءات إلـــى أن مقـــدار المياه الصـــالح للشـــرب مـــن مجمـــوع مياه الأرض إلى ٣٥ مليون كلم مكعب ، ويقـــال أن نســـبة ٦٨% مـــن تلـــك المـــياه محفوظة في جموديات القطب الجنوبـــي وجزيـــرة غريـــنلاند ، و٣٠% موجـــود فـــي القشرة الأرضية الصخرية ، فما هو مستغل من المياه العذبة لا يتجاوز ٣% .

وأمـــا الحاجـــات المهمـــة والواضـــحة للإنسان من المياه ، فيقال أن الإنســـان لا يمكـــنه الإســـتغناء عـــن شرب الماء لمدة تتجاوز ٤٨ ساعة ، وذلـــك لأن عملـــية الهظـــم عـــند الإنســـان يصحبها فرز سموم وأبخره ، وهـــذه تحـــتاج إلـــى مخـــرج يخـــرجها مـــن الجسم ، وإلاّ أفقدته الحياة ،

=سـورة المـائدة : آيـة ٩٦ ، سـورة الأعراف : آية ١٣٨، سورة الأعراف: آيـة ١٦٣، سـورة ابراهـيم : آيـة ٣٢، سـورة الإسـراء : آيـة ٦٦، سورة الإسـراء : آيـة ٦٧، سـورة الاسـراء : آية ٧٠، سورة طه : آية ٧٧، سورة الحـج : آيـة ٦٥، سـورة الشـورى : آيـة ٣٢، سـورة : الرحمن : آية ٢٤، سـورة الأنعـام : آيـة ٥٩ ، سـورة الأنعام : آية ٦٣، سورة الأنعام : آية ٩٧، سـورة الـنمل : آيـة ٦٣، سـورة يونـس : آيـة ٢٢، سورة يونس : آية ٩٠، سـورة الـروم : آيـة ٤١، سـورة النحل : آية ١٤، سورة الشعراء : آية ٦٣، سورة الدخان : آية ٢٤، سورة الجاثية : آية ١٢، سورة الطور : آية ٦.

١ـ سـورة المـائدة : آيـة ٩٦، سـورة الأنعام : آية ٥٩، سورة الأنعام : آية ٦٣ ، سـورة الأنعـام : آيـة ٩٧، سـورة النمل : آية ٦٣، سورة يونس : آية ٢٢ ، سـورة الإسـراء : آيـة ٦٧، سـورة الإسـراء : آيـة ٦٨، سورة الإسراء : آيـة ٧٠، سـورة العنكـبوت : آيـة ٦٥، سورة لقمان : آية ٣٢، سورة الروم : آية ٤١، سورة طه : آية ٧٧.

وبالـــتعرق والـــبول بعـــد الشـــرب تـــتم عملـــية إخـــراج تلك السموم من الجسم، وبذلك يبقى مواكباً للحياة .

لعمـــري لـــو كانـــت تلـــك الحاجـــة للماء بمفردها فيه لكفانا إهتماماً بـــه، حيـــث إن الأشـــياء لا تقـــاس أهميـــتها وإحتـــياجها بكـــثرة الفوائـــد والحاجـــات ، وإنمـــا تقـــاس بنوعـــيّة الإحتياج ، وتوقف الحياة على أمر ، يســـتدعي المـــنزلة العلـــيا فـــي قـــاموس أمـــور الإنســـان ، ويشهد لذلك صـــراعات البشـــر قديمـــاً وحديـــثاً ، بل وحتى في المستقبل ، على إحراز المـــاء بنفســـه ، أو مـــنابعه ، بقـــدر أكـــبر ؛ والمعادلة عند المتصارعين علـــى توفـــير المـــياه ، تقوم على التضحية بالقليل ـــ قتلى الصراع ـــ من أجـــل حفـــظ الكثـــير ـــ الأجيال القادمة ـــ ، وهذا من إعطاء الحياة عمراً أطول ، ولو من هذا السبب (توفير الماء بالغلبة) .

ومـمـــا جـــاء فـــي حديـــث الإمـــام الصـــادق عليه السلام مع المفضل في رسالة التوحيد : .

قـــال الإمـــام الصـــادق عليه السلام : (وفـــيه مـــنافع أُخر أنت عارف ، وعـــن عظـــيم موقعهـــا غـــافل ، فإنّـــه سوى الأمر الجليل المعروف من عظـــيم غـــنائه فـــي إحـــياء ما على الأرض من الحيوان والنبات ، بمزج الأشـــربة فـــتلذ وتطيـــب لشاربها ، وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الـــذي يغشـــاها ، وبـــه يـــبل الـــتراب فيصلح للأعمال ، وبه يكف عادية الـــنار إذا أضـــرمت وأشـــرف الـــناس على المكروه ، وبه يستحمّ المتعب الكـــالّ فـــيجد الـــراحة مـــن أوصـــابه ، إلى أشباه هذا من المآرب ، التي

تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة)[١] .

الريـــاح:

قـــال تعـــالى : ﴿ وَمِـــنْ آيَاتِـــهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِـــنْ رَحْمَـــتِهِ وَلِـــتَجْرِيَ الْفُلْـــكُ بِأَمْـــرِهِ وَلِتَبْـــتَغُوا مِـــنْ فَضْـــلِهِ وَلَعَلَّكُـــمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢] .

وقـــال تعـــالى : ﴿ وَاللَّـــهُ الَّـــذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾[٤] .

الـــرياح مـــن أقســـام طبيعتـــنا التـــي نحياها ، وله الذكر المنتشر ما بيـــن الـــناس بكـــل طـــبقاتهم ، بالتساؤل عن أحواله ، وتفقده ، إن نشغلوا بمشـــاغل الدنـــيا ، وذلـــك لمـــا يهمهـــم فـــيما تحمله الرياح من حر وبرد ورطوبة ... .

قـــال الإمـــام الصـــادق عليه السلام فـــي هـــذا المضـــمار : (وأنـــبهك يا مفضـــل علـــى الـــريح ومـــا فـــيها ، ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف

١ــ رسالة التوحيد : ص ٩٢.

٢ــ سورة الروم : آية ٤٦.

٣ــ سورة فاطر : من آية ٩ .

٤ــ سورة الحجر : من آية ٢٢.

يحـــدث الكـــرب ، الـــذي يكاد أن يأتي على النفوس ، ويمرض الأصحاء، ويـــنهك المرضـــى ، ويفســـد الـــثمار ، ويعفّن البقول ، ويعقب الوباء في الأبـــدان ، والآفـــة فـــي الغـــلات ، ففـــي هذا بيان ، أنّ هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق)[1] .

وســـئل أبـــو عـــبد الله عليه السلام عـــن جوهر الرَّيح فقال : (الرَّيح هواء إذا تحـــرّك ســـمّي ريحـــاً ، فـــإذا ســـكن سمّي هواءً وبه قوام الدنيا ، ولو كفـــت الـــرَّيح ثلاثـــة أيـــام لفسد كلّ شئ على وجه الأرض ونتن ، وذلك أنّ الـــرِّيح بمـــنزلة المـــروحة تـــذبّ وتدفع الفساد عن كل ّ شئ وتطيبه ، فهـــي بمـــنزلة الـــرّوح إذا خـــرج عن البدن نتن البدن وتغيّر ، تبارك الله أحسن الخالقين) [2] .

ومـــن أقســـام الـــريح النيســـم ، الـــذي يسمى بـــ (الهواء) والذي تـــتوقف علـــيه حـــياة المخلوقـــات المتنفسة ، فلا يمكن استغنائها عنه ولو لدقـــائق ، مضـــافاً إلـــى مـــا به صحتها ومرضها ، وذلك حسب انواعه أو نقائه وتلوثه .

قـــال الإمـــام الصـــادق عليه السلام فـــيه : (وحســـبك بهذا النسيم المسمى هـــواء عـــبرة ، ومـــا فـــيه مـــن المصـــالح ، فإنّـــه حـــياة هذه الأبدان ، والممســـك لهـــا مـــن الداخـــل ، بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من

١ــ رسالة التوحيد : ص ٨٨ ــ ٨٩ .

٢ــ الإحتجاج : ص ٩٧.

روحه...)[١] .

وقد عرف ما بين الناس فضلا عن العلماء المختصين في هذا المجال ، تقسيم الرياح إلى أربعة (الشمال والجنوب والصبا والدبور)، ولكل من هذه الأقسام جهة تهبّ منها ، وخصائص تختص بها ، وهذا ما تستدعيه تسميتها وقسمتها ، فإن تقسيم الأشياء يحتاج إلى جهة إشتراك ، وجهة اختلاف ، وفي موردنا نفس الرياح جهة إشتراك ، حيث إن رياح الشمال رياح ، وكذا رياح الجنوب والصبا والدبور ، وأما جهة الإختلاف فتكمن في مميزات وخصائص تلك الرياح .

عن السياري رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : لِمَ سميت رياح الشمال؟ فقال : (لأنها تأتي من شمال العرش)[٢] .

قال صاحب كتاب عجائب الملكوت ، بمعنى الجهة التي أصلها البارد اليابس ، وهي قليلة البحار كثيرة البراري والجبال فتكتسب منها يبساً وتكون أشدّ هبوباً من الجنوب[٣] .

وللإطلاع على شئ يسير ننقل ما جاء في كتاب عجائب الملكوت في هذه الأقسام :

١ــ رسالة التوحيد : ص ٨٩ .

٢ــ علل الشرائع : ج ٢ ص ٢٢٤.

٣ــ عجائب الملكوت : ص ٨٦ .

قــال : ريــح الشــمال تصــحّ الأبــدان وتصــلّبها وتقوّي الأدمغة وتصــفّي اللــون وتصــحح الحــواس وتهيّج الشهوة ، وتسدّ المسام وتقوّي الهضــم وتعقــل البطــن وتــدّر الــسبول ، وتصحح الهواء العفن الملوّث ، وقيل : إنّها تجعل أكثر أولادها ذكوراً[1] .

وريــح الجــنوب وهــي حــارة رطبة لأنّها تهبّ من خط الإستواء، وهــناك الحــرّ المفــرط لأنّ الشــمس تسامتها في السنة دفعتين ولا تتباعد عــنها فــتزداد حــرّاً ، ولهــذا تكســر الــبرد وتذيب الثلج ، فعن أبي عبد الله عليه السلام : (نِعــم الــريح الجــنوب تكســر الــبرد عــن المساكن وتلقح الشجر وتسيل الأودية) .

والجهــة التــي تهــبّ مــنها كثــيرة الــبخار فتكســب من أبخرتها الرطــبة ، ولهــذا تكــون مرخــيّة للقــوّة مفتحة للمسام ، وتورث الأبدان الكسل وثقلاً في النوم والأسماع .

والعجيــب أنّ اللواقــح مــنها ، وإذا هبّــت على الماء الحارّ برّدته ، وقيل إنّ أكثر أولادها إناثاً [2] .

وريــح الصــبا يكــون هــبوبها فــي آخر الليل وأول النهار ، فهي مائلــة إلــى الــبرد ، لأنّهــا تمّــر على مواضع باردة فتبرد ببعد الشمس عــنها باللــيل ، فــتكون طيــبة جــداً ، إلاّ أنّ وقــتها قلــيل ، لأنّ شعاع الشــمس يســوقها مــن خلفهــا ، فإذا طلعت الشمس أصبحت مقابلها ، فلا

١ــ عجائب الملكوت : ص ٨٦ .

٢ــ عجائب الملكوت : ص ٨٦ .

تـــزال كذلـــك تمـــرّ أمـــام الشـــمس تسخنها بحرّها وضيائها ، حتى تصير معـــتدلة ، وهـــي النســـيم الســـحري ، الـــذي يلتذّ به الإنسان ويطيب النوم عليه ، ويجد المريض راحة عند هبوبها [١] .

وريـــح الدبـــور يكـــون هـــبوب هذه الرياح أول الليل وآخر النهار ، فالشـــمس تكـــون مدبـــرة عـــنها ، فـــلا تســـخنها تســـخين الصَّبا ، وزمن هـــبوبها قلـــيل لإ نقطاعهـــا بعـــد أول اللـــيل ، وهـــي أكـــثف وأغلظ من الصـــبا، وأرطـــب يســـيراً ، لأنّهـــا تجـــتاز البحار ، ولأنّ الشمس تخلفها بحركـــتها ، وهـــي أقـــل حـــرارة من الصبا ، وأميل إلى البرد ، وإن كانا كلاهما بالقياس إلى الرياح الجنوبية والشمالية معتدلين[٢] .

هـــذا جانـــب مـــن جوانـــب الرياح ، ويعبر عنه بالجانب الإيجابي ، ولهـــا أيضـــاً جانـــب ســـلبي تجاه المخلوقات ، وفي هذا الجانب درجات ، وأعلهـــا مـــا هـــو مهلـــك للمخلـــوق الحي ومعذبه ، بل إننا نجد الإنسان ، الـــذي مـــنح قابلـــية الـــتطور مـــن خـــلال فكره ، وبعد طول تجربته في الحـــياة ، وتقدمـــه فـــي إبـــتكار أرقـــى الوسائل والمعدات ، لم يتمكن من صدّ تلك الريح ـــ المهلكة ـــ إن أتت .

قـــال تعـــالى : ﴿ **إِنَّـــا أَرْسَـــلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ** ﴾[٣] .

١ـــ عجائب الملكوت : ص ٨٦ .

٢ـــ عجائب الملكوت : ص ٨٧.

٣ـــ سورة القمر : آية ١٩.

وقال تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢].

الجبال :

﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[٣] .

الجبال من اقسام الطبيعة المشخصة ، يعرفها الصغير والكبير، وهي مختلفة في صغرها وكبرها ، وألوانها ، ونوعيّة صخورها وأحجارها وتربتها ... ، ولها خصائص عدة ، نذكر ثلاثة منها ، الاول: منافعها ، الثاني: عظم خلقها ، الثالث: إطاعتها لخالقها .

الأول : منافعها:

قال تعالى : ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾[٤] .

١ــ سورة الذاريات : آية ٤١.

٢ــ سورة الأحقاف : من آية ٢٤.

٣ــ سورة فاطر : آية ٢٧.

٤ــ سورة النازعات : آية ٣٢.

وقال تعالى : ﴿ **وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا** ﴾[١] .

وضـــع الجـبال علـــى الكـــرة الأرضـــية له مـــن المنفعة الكبرى ، حيـــث اســـتقرار الكـــرة الأرضـــية مـــن خلال وجودها ، والآية المتقدمة واضـــحة المعـــنى ، لان الإرســـاء هـــو إثـــبات الشئ ، فالجبال مثبتة من قبل خالقها .

وآيـــات أخـــرى تحكـــي أن ذلـــك الإرســـاء للجـــبال لم يكن مجرد تثبيـــت كـــيف كـــان ، وإنمـــا هو إرساء للجبال بمعنى نفس الكلمة ، حيث إن الإرســـاء هـــو تثبيـــت للشـــئ بـــنحو محكم ، كما يقال في السفينة حين استقرارها رست .

فالجـــبال موزعـــة علـــى أماكـــن مـــن الأرض بحيـــث تستقر من خلالها .

قـــال تعـــالى : ﴿ **وَأَلْقَـــى فِـــي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[٢] .

وقـــال تعـــالى : ﴿ **وَجَعَلْـــنَا فِـــي الأَرْضِ رَوَاسِـــيَ أَنْ تَمِـــيدَ بِهِـــمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾[٣] .

فاســـتقرار الأرض نـــاتج عـــن حجـــم الجـــبال وثقلها ، حيث إنيطة

١ــ سورة فصلت : آية ١٠.

٢ــ سورة النحل : آية ١٥.

٣ــ سورة الأنبياء : آية ٣١.

بها مهمة الإرساء ، وتوزيعها على الأماكن لأجل هذا الغرض .

قال أمير المؤمنين في هذا المجال : (وحَمَلَ شَوَاهِقَ الجِبَالِ الشُّمَّخِ البُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا ، فَجَّرَ يَنَابِيعَ العُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا ، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا ، وَعَدَّلَ حَرَكَتَهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا ، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا ، فَسَكَنَتْ مِنَ المَيَدَانِ لِرُسُوبِ الجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا ، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا ، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الأَرَضِينَ وَجَرَائِمِهَا ...)[1] .

وابن أبي الحديد الشارح لخطب أمير المؤمنين سلّم بأن الجبال مهمتها استقرار الأرض ولكن تعبداً ، حيث يدعي أن ذلك مخالف لقول الحكماء ، فإنهم يبنون على أن الأرض تستقر لطلبها المركز ، الذي هو محل استقرارها .

قال ابن أبي الحديد : إن هذا القول يخالف قول الحكماء ، لأن سكون الأرض عند الحكماء لم يكن لذلك ، بل لأنها تطلب المركز ، وهي حاصلة في حيزها الطبيعي ، لكنّا وإن كان مخالفاً لقول الحكماء، فإنا نعتقد ه ديناً ومذهباً ، ونعدل عن قول الحكماء ، لأن إتباع قوله عليه السلام أولى من إتباع أقوالهم[2] .

ولعل الذي ذهب بابن أبي الحديد لذلك ، ما توصل إليه الحكماء في زمانه ، مع أن في زماننا قد ثبت بالفعل إن الجبال عامل في

١ــ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٤٣٧/ خطبة الأشباح .
٢ــ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٤٤٧.

اســـتقرار الأرض وثـــبوتها ، فـــيكون مـــا قالـــه أمير المؤمنين عليه السلام في الجـــبال علمـــياً ، ولعـــل يمكـــن القـــول أنه لا يمكن حمل قوله عليه السلام على التعـــبد ، لأنـــه لـــيس بأمـــراً ولا نهياً ، ولا أنها مسألة غيبية ، غير قابلة للسير العلمي ، حتى يتوقف عندها بالتعبد .

قـــال صـــاحب كـــتاب هـــذا خلـــق الله : أنـــه بفعل دوران الأرض حـــول نفســـها ، فـــإن قوة ما تنشأ بفعل تلك الحركة تسمى بالقوة الطاردة، فلابـــد إذا مـــن إيجـــاد قوة أخرى تخالفها ، وتسمى بالقوة الجاذبة ، تجذب الأرض إلـــى مركـــزها بفعـــل ثقـــل جـــبالها ، وقد ثبت أن هاتين القوتين متعادلتيـــن ، ممـــا يجعـــل الأرض لا تمـــيل ، ولا تضـــطرب بالرغم من أنها تدور وبسرعة تصل إلى ٤٦٥م / ثا في مناطقها الإستوائية [١] .

فهـــذه مـــنفعة مـــن مـــنافع خلق الجبال ، ويا لها من منفعة عظيمة ، ومن منافع الجبال أيضاً :

١ـــ الإنتفاع من احجارها وصخورها .

٢ـــ محل للمياه المخزونة .

٣ـــ محل لإنشاء السدود التي فيها من المنافع الكثير .

٤ـــ محل للزراعة والسياحة والسكن ... .

٥ـــ محـــل للغابـــات ، التـــي فـــيها مـــن المنافع الكثير ، ومن بينها أنها مأوى للحيوانات المتوحشة .

١ـــ كتاب هذا خلق الله : ص ١٠٢.

الثاني : عظم خلقها :

يكفي الناظر لهذا المخلوق ــ الجبال ــ أن يتيقن بعظمه ، فإرتفاعها الشاهق ، وسلاسلها الممتدة بشكلها الرهيبة ، والأودية المتخللة في اعماقها ، وسفوحها المبسوطة كأجنحة الطير ، مضافاً إلى جلادة صخورها واحجارها ، وقد أخذ الناس من حجم الجبال وثقلها المثل ، فضربت به الأمثال فقالوا : أثقل من عماية[1] ، وأثقل من أحد[2] .

فالجبال بتراكيب صخورها ، وكبر حجمها ، وثقل وزنها ، من الأمر البين ، ولذا جعلت أمراً يستدل به على عظمة خالقها .

قال تعالى : ﴿ **أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الأِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** ﴾[3] .

ويقسم أمير المؤمنين برب الجبال ، فمن عظمتها يستكشف عظمة خالقها عزّ وجلّ .

قال عليه السلام : (وَرَبّ الْجِبَالِ الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَاداً ، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً ، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ ، وَسَدِّدْنَا

١ــ مجمع الأمثال : ج ١ ص ١٥٥ ، عماية : جبل بالبحرين من جبال هذيل .
٢ــ مجمع الأمثال : ج ١ ص ١٥٥ ، أحد : جبل بيثرب معروف ومشهور .
٣ــ سورة الغاشية : آيات ١٧ــ ١٨ــ ١٩.

لِلْحَــقِّ ، وَإِنْ أَظْهَــرْتَهُمْ عَلَيْــنَا ، فَارْزُقْــنَا الشَّــهَادَةَ ، وَاعْصِــمْنَا مِــنَ الْفِتْنَةِ...)[1] .

الثالث : إطاعتها لخالقها :

الإقــرار بــالحق ، والإذعــان للصــواب ، مــن ســمات الســير الصــحيح ، والإرادة الــتامة ، والــتطابق مــا بيــن القول والعمل ، وهذه لــيس لهــا محــل إلاّ لمــن كــان له حــق الإختــيار ، ولم تعرف ساحة المخلوقــات مخلوقــاً مخــتاراً إلاّ الإنســان ، فعلى هذا المخلوق أن يفتخر بمــا اعطــي ومــيّز ، لكــن واقعه لم يحكِ لنا ذلك ، بل نراه اختار طريقاً جعله في الطبقة التي دون باقي الخلوقات .

قــال تعــالى : ﴿ **أَمْ تَحْسَــبُ أَنَّ أَكْــثَرَهُمْ يَسْــمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾[2] .

وخســران الإنســان تلــك المــيّزة ــ الإختــيار والإرادة ــ إمــا بإهمالهــا ، أو بــالعمل علــى خلاف الحق ، وإرادة الله سبحانه ، لم يدعه يعــترف بعظمــة خلــق الله ســبحانة ، كباقي المخلوقات ، التي تسبح الله وتقدسه ، وتعمل على إرادته .

١ــ شــرح نهــج الــبلاغة لابــن أبي الحديد : ج ٩ ص ٣١/ من كلام له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين .

٢ــ سورة الفرقان : آية ٤٤.

قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾[١] .

وها هي الجبال مع عظم حجمها ، وثقلها وزنها ، وكثرة منافعها ، تسجد لخالقها وتسبحه .

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ** ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾[٤] .

ونجدها في مجال الإذعان تذعن لله سبحانه ، حتى تكاد تخرّ وتتساقط من علوها الشاهق ، عندما ينسب لخالقها ما ليس من شأنه جلَ وعلا .

قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ**

١ــ سورة الإسراء : من الآية ٤٤.

٢ــ سورة الحج : من الآية ١٨.

٣ــ سورة ص : آية ١٨.

٤ــ سورة الأنبياء : من الآية ٧٩.

هَدَاً ﴾[١].

وبعد الإطلاع اليسير على بعض خصائص وصفات بعض أقسام الطبيعة ، نقول أنه يمكن للإنسان أن يختار ما هو مناسب له منها ، وبهذا الإختيار يعطي لنفسه مؤهلات العيش الصحيح ، ويسدّ باب سبب من أسباب الموت تأثراً بها ، فالإنسان وإن حكم بالموت ، وقدّر له أجل ، لكنه لم يحكم بالعيش في نوع واحد من الهواء ، أو الشرب من ماء معين ، فعدم إختياره لأقسام الطبيعة الجيدة ، لعله يكون سبباً لموته وحلول أجله ، الذي استعجله ، بخلاف ما لو أعمل إختياره ، فلعل يبقى إلى أجله المحتوم ، الذي لا مفر منه .

فإطالة العمر بإختيار أفضل أقسام الطبيعة ، كائن ما بين الموت بسبب قسم ردئ من أقسام الطبيعة ، والموت عند حلول الأجل المحتوم ، فلو قدّر لإنسان أن يعيش مائة سنة ، لكن ذلك مشروط بإختيار أقسام جيدة من الطبيعة والبيئة ، فلو قصّر وعاش في الأقسام الرديئة من الطبيعة ، ومات في الستين من عمره ، لم يكن ممن أطالة عمره بإختياره ، بل هو ممن قصّر عمره .

من وصايا لقمان لإبنه : وإذا أردت النزول ، فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً ، ولينها تربة ، وأكثرها عشباً [٢] .

فتبين أن أقسام الطبيعة فيها قابلية لأن تمنح الإنسان عمراً

١ــ سورة مريم : الآيات ٨٨ ــ ٩٠ .

٢ــ عجائب الملكوت : ص ٥٢.

أطـــول ، إن قـــدّر له مـــن ناحيـــتها ، ويؤيد ذلك بالإحصائيات المقامة في هـــذه المجـــال ، فـــإن كثـــير مـــن الذين عمّروا حياة أطول كانوا يعيشون فـــي ظـــروف طبيعـــية جـــيدة ، ومـــن نـــتائج تلك الإحصائيات أن بعض الـــبلدان يكـــون أعمـــار ســـكانها أطـــول مـــن غـــيرها ، كما في إنكلترا والـــنروج بخـــلاف فرنســـا وايطالـــيا ، ومـــا ذلـــك إلاّ للظـــروف التـــي يعيشونها .

يـــنقل عـــن بـــلاد الســـند أن الأعمار فيها طويلة ، ويذكر عيسى بن علـــي العمـــري: أن الهـــرم فـــيها قلـــيل ، وأنه فارق رجلا فيها عن عمر ناهز المائة وستين سنة[1] .

السبب الثالث : أعمال الإنسان :

المخلوقـــات الأرضـــية بأجمعهـــا تشـــترك بـــأمور ، وتخـــتلف عن بعضـــها بـــأمور ، ومـــن أبـــرز محـــال اشـــتراكها أنها مخلوقات ، وأما محـــال إخـــتلافها فمـــن أبـــرزها أن الإنســـان مـــن بين المخلوقات يحمل عقـــلاً، وهـــو جهـــاز غـــير مـــادي ، يمكـــن مـــن خلالـــه تطوير حامله إجتماعـــياً إقتصـــادياً ماديـــاً... مضـــافاً إلـــى عمله الرئيسي ، وهو إرشاد الإنسان إلى الصواب من الأمور .

وبذلـــك يـــنفرد الإنســـان مـــن بيـــن المخلوقات بإمكانية إختيار فعل

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٧.

مـــن الإفعـــال ، وتـــرك آخـــر ، بدراية وسداد ، إثر إعمال العقل لما يراه مـــن مصـــلحة فـــي فعل العمل ، أو تركه ، فحتى لو لم يعلم الإنسان بدقة مصـــلحة فعـــل ، ودرجـــة شـــدة قـــبح فعـــل ، علم من خلال عقله بحسن أفعال ، وقبح أخر ، بنحو عام .

ووجـــود أداة للتمـــيّز مـــن غـــير وجـــود اشـــيأ تُمـــيّز مـــن العبث الواضـــح، وهـــذا بعـــيد عـــن ســـاحة الخـــالق جـــلّ وعلا ، بل ولا يقبله العقـــلاء فـــيما ينشـــؤن مـــن أدوات تمييزية لأمورهم ، وإذا كان للعقل هذا الـــدور فـــي حـــياة الإنســـان ، حيـــث يمكنه أن يسلك بصاحبه سبل النجاة عـــند إتـــباعه ، ويقـــع مـــن لا يتبع أوامره سبل المهاوي ، أن يكون حجة يحتج به على من يحمله من البشر .

عـــن هشـــام بـــن الحكـــم قـــال : قـــال لـــي أبو الحسن موسى بن جعفـــر عليه السلام : (يـــا هشـــام إنّ لله علـــى الـــناس حجتيـــن : حجة ظاهرة وحجـــة باطـــنة ، فأمـــا الظاهـــرة فالرســـل والأنبـــياء والأئمة عليهم السلام وأما الباطنة فالعقول)[1] .

عـــن عـــبد الله بـــن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (حجة الله على العباد النبي ، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل)[2] .

والعقـــل حجـــة فـــيما بيـــن الناس ، ولذا نجد اللوم والعتاب والتقريح والعقوبة ... لمن لم يتبع أوامر العقل عند تصرفاته .

١ــ الكافي : ج ١ كتاب العقل والجهل ص ١٣ــ ١٦.

٢ــ الكافي : ج ١ كتاب العقل والجهل ص ٢٥.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (كل حسب منتاه إلاّ العقل والأدب)[١] .

فالعقل مخلوق محبوب ، وذلك لما له من دور في حياة الإنسان الدنيوية والأخروية ، ولذا به صحَّ مخطابة الإنسان ، وأمره ونهيه ، وتبجيله وإهانته ... دون غيره من المخلوقات .

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : (لما خلق الله العقل إستنطقه ، ثم قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ، ولا أكملتك إلاّ فيمن أحب ، أما إني إياك آمر ، وإياك أنهى ، وإياك أعاقب وإياك أثيب)[٢] .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (العقل ما عبد به الرحمن ، واكتسب به الجنان)[٣] .

فتبين من خلال ما تقدم أنّ في أعمال وأفعال الإنسان ما هو جيد وصالح ، وما هو قبيح وطالح ، ومن نتائج كلا النوعين من الأفعال ، أن يوصف الإنسان المتلبس بأحدهما بوصفه ، فيقال إنسان صالح ، وإنسان طالح .

١ــ ميزان الحكمة : ج ١ ص ٥٣.

٢ــ الكافي : ج ١ كتاب العقل والجهل ص ١٠.

٣ــ الكافي : ج ١ كتاب العقل والجهل ص ١١

ومـــن المعلـــوم أن لـــيس لأعمـــال الإنسان مجرد هذه النتيجة ، بل لهـــا نـــتائج وآثـــار أُخـــر ، مـــنها: مـــا هو كبير وخطير ، ومنها: ما هو صغير وحقير .

فالأعمـــال والأفعـــال بنفســـها أمـــور كائنة في نفسها ، ولكن عندما يتقمصـــها الإنســـان ، أو تغلـــب علـــيه ، يكون لها مردود ما على شخصه وشخصـــيته ، وآثـــار هـــذه الأعمـــال والأفعـــال بالنسبة للمادي منها سهل المتـــناول فـــي التوضـــيح والبـــيان ، فالأعمـــال التي يؤديها الإنسان بيده اليمـــنى تؤثـــر فـــيه ، بـــأن تجعل عضلات اليد اليمنى أقوى وأبرز ، مما فـــي يـــده اليســـرى والعكـــس يعطـــي العكـــس ، ولكـــن يصـــعب البيان والتوضـــيح ، عـــند الأغلـــب مـــن الـــناس لآثار الأعمال المعنوية ، حيث إنّهـــا أمـــور مجـــردة ، لا تـــنالها حـــواس الإنســـان ، ومن طبع الإنسان الأنـــس بالماديـــات ، وذلـــك لـــدرك حواســـه لها ، ولكن هذا لا يستدعي الوقـــوف عـــند ذلـــك ، أو إنكـــار الأثـــار المعـــنوية المجردة ، حيث إن الشـــرائع الســـماوية نصـــت ودلـــت علـــى مثل هذه الآثار ، وصارت تلك النصـــوص نقطـــة إبـــتدأ ، وعـــامل دفـــع ، لشروع المفكرين والعلماء في تحقـــيق هـــذه المســـألة ، فبرهـــنوا علـــيها ، ثم أبدوا إستنتاجات عظيمة ، مـــن خـــلال الإعـــتقاد بهـــا ، والعمـــل من أجلها ، وقد طرح المفكرون والعلمـــاء براهيـــنهم بمـــا يتناســـب وحـــال الأفـــراد في الإدراك والتعقل والفهم .

فمن الآيات التي تدل على أنَ للأعمال آثار :

قـــال تعـــالى : ﴿ **يَـــوْمَ تَجِـــدُ كُـــلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً**

وَمَـا عَمِلَـتْ مِـنْ سُـوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1] .

وقـال تعـالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِيـنَ يَكْـتُمُونَ مَـا أَنْـزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْـتَرُونَ بِـهِ ثَمَـناً قَلِـيلاً أُولَـئِكَ مَـا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**[2] .

وقـال تعـالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِيـنَ يَـأْكُلُونَ أَمْـوَالَ الْيَـتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾**[3] .

وقـال تعـالى : ﴿ **يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ كَفَـرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾**[4] .

وقـال تعـالى : ﴿ **وَلِكُـلٍّ دَرَجَـاتٌ مِمَّـا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾**[5] .

وقـال تعـالى : ﴿ **لَقَـدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾**[6] .

قـال صـاحب تفسـير الميزان في خصوص الآية الاخيرة : لعمري

١ــ سورة آل عمران : آية ٣٠.

٢ــ سورة البقرة : آية ١٧٤.

٣ــ سورة النساء : آية ١٠.

٤ــ سورة التحريم : آية ٧.

٥ــ سورة الأحقاف : آية ١٩.

٦ــ سورة ق : آية ٢٢.

لــو لــم يكــن فــي كــتاب الله تعــالى إلاّ قولــه تعالى : ﴿ **لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَــةٍ** ... ﴾ لكــان فــيه كفايــة ، إذ الغفلــة لا تكــون إلاّ عــن معلوم حاضــر، وكشــف الغطــاء لا يســتقيم إلاّ عن مغطى موجود ، فلو لم يكن مــا يشــاهده الإنســان يــوم القــيامة موجــوداً حاضراً من قبل ، لما كان يصــح أن يقــال للإنســان أن هــذه أمــور كانــت مغفولة لك ، مستورة عنك، فهي اليوم مكشوف عنها الغطاء ، مزالة منها الغفلة[1] .

فالآيــات تبيــن أن للأعمــال والأفعــال الإنسانية آثار ، وإن كانت هــذه المجموعــة مــن الآيــات تحكــي عن الآثار الأخروية ، والتي يعبر عــنها فــي الكتــب الفلســفية بتجسم الأعمال ، وكيف كان فهي لا تخرج عــن دائــرة آثــار الأعمــال غير المعلومة ، لدى أغلب الناس ، وبما أن كلامــنا فــي إطالــة العمــر ، فهل توجد أعمال إن قام بها الإنسان تورثه زيــادة فــي العمــر؟ ولــيس لنا طريق مختصر لمعرفة ذلك ، إلاّ ما أخبر بــه الأنبــياء والأوصــياء عليهم السلام ، فنتوقف وذلك الطريق المختصر لتناسبه مع المقام :

فمما أرشدوا إليه :

الصدقة :

عــن النبــي صلى الله عليه وآله : (إن الصــدقة وصــلة الــرحم تعمران الديار،

١ــ تفسير الميزان : ج ١ ص ٩٢.

وتزيدان في الأعمار)[١] .

قال الإمام الصادق عليه السلام : (الصدقة تمنع ميتة السوء)[٢] .

قال الإمام الصادق عليه السلام : (من تصدق في يوم ، أو في ليلة ، دفع عنه الهدم والسبع ومِيتة السوء)[٣] .

البر بالأرحام والجيران :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : (عليكم بصنائع الإحسان ، وحسن البر بذوي الرحم والجيران ، فإنهما يزيدان في الأعمار ، ويعمران الديار)[٤] .

قال علي عليه السلام : (صلة الأرحام منسأة [٥] في الأعمار...)[٦].

قال الإمام الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (احتضر رجل بار في جواره رجل عاق ، قال الله عزّ وجلّ لملك الموت: يا

١ــ مكارم الأخلاق : ص ٣٨٨ .

٢ــ مكارم الأخلاق : ص ٣٨٧ .

٣ــ مكارم الأخلاق : ص ٣٨٨ .

٤ــ عيون الحكم والمواعظ : ص ٣٤٢ .

٥ــ النسيء : التأخير يكون في العمر والدين وقوله ينسأ أي يؤخر ومنه الحديث: صلة الرحم مثراة في المال منسأة في الأثر ، هي مفعلة منه أي مظنة له وموضع . لسان العرب : ج ١ ص ١٦٦.

٦ــ بحار الأنوار : ج ٧٥ ص ٢٠٧

ملـــك المـــوت كـــم بقـــي من أجل العاق ؟ قال ثلاثون سنة . قال : حولها إلى هذا البار ...)[١] .

اليمين الكاذبة :

قـــال النبـــي ﷺ : (اليميـــن الفاجـــرة ، تخـــرب الديار ، وتقصر الأعمار)[٢] .

قـــال رســـول الله ﷺ : (اليميـــن الصـــبر الفاجـــرة ، تـــدع الديار بلاقع)[٣] .

قـــال رســـول الله ﷺ : (اليميـــن الفاجـــرة ، تـــدع الديار بلاقع ، وتعقم الرحم ، وتقلّ العدد)[٤] .

حسن الخلق :

عـــن الرضـــا عليه السلام ، عـــن أبـــيه عليه السلام، قـــال : قـــال أبـــو عـــبد الله عليه السلام: (صلة الأرحام ، وحسن الخلق ، زيادة في الأعمار)[٥] .

١ــ بحار الأنوار : ج ٤٧ ص ١٩٤.

٢ــ عوالي اللئالي : ج ١ ص ٢٦٢.

٣ــ ثواب الأعمال : باب عقاب من حلف بالله كذب : ص ٢٢٦ .

٤ــ كنز العمال : ج ١٦ ص ٦١٧.

٥ــ بحار الأنوار : ج ٧١ ص ٩١.

قـــال النبـــي صلى الله عليه وآله : (حســـن الخلـــق ، وصـــلة الأرحـــام ، وبـــرّ القرابة، تزيد في الأعمار، وتعمّر الديار ، ولو كان القوم فجار)[١].

ابـــن أبـــي عمـــير ، عـــن عـــبد الله بن سنان ، قال : (قال أبو عبد الله عليه السلام يـــا ابـــن ســـنان أن النبـــي صلى الله عليه وآله كان قوته الشعير من غير أدام ، أن البرّ ، وحسن الخلق ، يعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار)[٢].

عمل البوائق :

قـــال رســـول الله صلى الله عليه وآله : (يـــا علـــي مـــن كرامة المؤمن على الله ، أنـــه لـــم يجعـــل لأجلـــه وقـــتا ، حـــتى يهمّ ببائقة ، فإذا همّ ببائقة قبضه إليه) [٣] .

وقـــال جعفـــر بـــن محمـــد عليه السلام : (تجنبوا البوائق[٤] يمدّ لكم في الأعمار)[٥] .

قال عبيدة بن هلال الخارجي يذكر رجلا من أصحابه :

يهـــوى فـــترفعه الرمـــاح كأنه شـــلو تنشـــب فـــيه مخالـــب ضار

١ــ بحار الانوار : ج ٧٤ ص ٧٢.
٢ــ بحار الأنوار : ج ٦٨ ص ٣٩٥.
٣ــ عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ٢ ص ٤٠ .
٤ــ ا لبوائق والبائقة : الداهية والشر .
٥ــ عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ٢ ص ٤٠ .

يهــوي صــريعاً والرماح تنوشه إن الشـــــراة قصــيرة الأعمار[١]

قال أبو تمام :

جهلــوا فلــم يستكثروا من طاعة معــــروفة بعمــــارة الأعمــــــار[٢]

الدعاء :

قــال تعــالى : ﴿ **وَقَــالَ رَبُّكُــمُ ادْعُونِــي أَسْــتَجِبْ لَكُــمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[٣] .

وقــال تعــالى : ﴿ **ادْعُــوا رَبَّكُــمْ تَضَــرُّعاً وَخُفْــيَةً إِنَّــهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[٤] .

قــال أمــير المؤمنيــن عليه السلام فــي وصــيته لإبــنه الحســن عليه السلام : (وإعلــم أن الــذي بــيده خزائــن الســموات والأرض ، قــد أذن لك في الدعــاء ، وتكفــل لــك بالإجابــة وأمرك أن تساله ليعطيك ... وإذا ناجيته علــم نجــواك ، فأفضــيت إلــيه بحاجــتك ، وابثثته ذات نفسك ، وشكوت إلــيه همومــك ، واستكشــفته كــروبك ، واســتعنته على أمورك ، وسألته

١ــ شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : ج ٤ ص ٢٢٥.

٢ــ شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : ج ٨ ص ٢٨٢.

٣ــ سورة غافر : آية ٦٠.

٤ــ سورة الأعراف : آية ٥٥.

مـــن خزائـــن رحمـــته ما لا يقدر على إعطائه غيره ، من زيادة الأعمار، وصحة الأبدان وسعة الأرزاق ...)[١] .

وقـــال أمـــير المؤمنيـــن عليه السلام : (مـــا كان الله ليفتح على عبد باب الشـــكر ويغلـــق بـــاب الزيادة ، ولا يفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة ...)[٢] .

وقـــال أبـــو جعفـــر عليه السلام : (مـــن أعطي أربع لم يحرم من أربعا : مـــن أعطـــي الدعـــاء لـــم يحرم الإجابة ، ومن أعطي الإستغفار لم يحرم الـــتوبة، ومـــن أعطـــي الشـــكر لـــم يحرم الزيادة ، ومن أعطي الصبر لم يحرم الأجر)[٣] .

وروى أنـــس بـــن مـــالك: (لا تعجـــزوا عن الدعاء ، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد)[٤] .

زيارة الحسين عليه السلام :

عـــن يوســـف بـــن عمـــيرة ، عـــن منصـــور بـــن حـــازم ، قال : ســـمعناه عليه السلام ـــ الإمـــام الصـــادق ـــ يقـــول : (مـــن أتى عليه حول لم

١ـــ شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : ج ١٦ ص ٨٦ ـــ٨٧.

٢ـــ شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : ج ٢٠ ص ٨٢.

٣ـــ بحار الأنوار : ج ٦ ص ٢١.

٤ـــ شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : ج ٦ ص ١٩١.

يـــأت قـــبر الحســـين عليه السلام ، أنقـــص الله مـــن عمره حولاً ، ولو قلت أن أحدكـــم لـــيموت قـــبل أجله بثلاثين سنة لكنت صادقاً ، وذلك أنكم تتركون زيارته ، فلا تدعوها ، يمدّ الله في أعماركم ...)[1] .

وقـــال الشـــهيد الأول قدس سره فـــي الـــدروس : وثـــواب زيارتـــه ـــ الحســـين عليه السلام ـــ لا يحصـــى ، حـــتى أن زيارتـــه فرض على كل مؤمن، وأن تـــركها تـــرك حـــق لله تعـــالى ولرســـوله ، وأن تركها عقوق رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنـــتقاص فـــي الإيمـــان والديـــن ، وأنه حق على الغني زيارته فـــي الســـنة مرتيـــن ، والفقـــير فـــي السنة مرة ، وأن من أتى عليه حول ولـــم يـــأت قـــبره ، نقـــص عمره حول ، وأنها تطيل العمر ، وأن زيارته لا تعدّ من الأجل ...[2] .

السبب الرابع : الإرادة الخارجية

تبيـــن مـــن خـــلال مـــا تقـــدم أن الإنســـان بطـــبعه يميل إلى طول العمـــر، ويبحـــث عـــن كل عامل وسبب فيه إمكانية إطالة العمر ليحويه ، والـــذي تقـــدم مـــنّا فـــي عدّ العوامل والأسباب ما كان داخل تحت اختيار الإنســـان ، فالأمـــر فـــيما تقـــدم راجع إليه وحده ، فإن شاء عمل وإن شاء تـــرك ، ولكـــن لـــم تقـــف بعـــد سلسلة العوامل والأسباب المطيلة للعمر ، فـــيوجد عـــامل وســـبب ، ولكـــنه خارج عن إرادة الإنسان وإختياره ، وقد

١ــ المزار : ص ٣٢ ــ ٣٣.

٢ــ الدروس : ج ٢ ص ٩ .

عـبرنا عـنه بـ (الإرادة الخارجـية) والمقصـود فـيه هو إرادة الله سـبحانه ، ومـن خصـائص هذه الإرادة أنها تعمل عملها فيمن آمن بها ، أو مـن لـم يؤمـن بهـا ، فإطالـة العمـر الآتية من إرادة الله سبحانه لو شاء، لا يوقفها كفر كفار ، ولا يجلبها إيمان مؤمن .

قـال تعـالى : ﴿ **إِنَّمَـا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئاً أَنْ يَقُـولَ لَـهُ كُـنْ فَيَكُونُ** ﴾[١].

وقـال تعـالى : ﴿ **بَدِيـعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾[٢] .

وقـال تعـالى : ﴿ **هُـوَ الَّـذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾[٣] .

وقـد كـان مـن جملة إرادات الله سبحانه أن يقدّر الموت لكل نفس خلقهـا ، وبـالموت تخـرج النفس من دار الدنيا ، فالخلد في هذه الدار لم يكتب لأحد من أنبيائه وعباده ، فضلا عن غيرهم .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾[٤] .

١ـ سورة يس : آية ٨٢.

٢ـ سورة البقرة : آية ١١٧.

٣ـ سورة غافر : آية ٦٨.

٤ـ سورة الزمر : آية ٣٠.

وقال تعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾[١] .

فالـــنفوس البشـــرية مقـــدر لهـــا المـــوت الذي يختم أمد عمرها في دار الديـــنا ، فإنـــتهاء العمـــر أمر حتمي ، ولكن هنا يأتي تساؤل عن دور العوامـــل والأســـباب المطـــيلة للعمـــر مـــع هـــذه الإرادة الجـــبارة ، فأي الجانبين غالب ؟ وهل ما قدّرته الإرادة الخارجية نافذ ؟

هـــذه التســـاؤلات وغـــيرها ، تأتـــي ممـــن لـــم يؤمـــن بأن الإرادة الخارجـــية هـــي الخالقـــة لكـــل شـــئ ، حتى تلك الأعمال والأسباب التي قلـــنا أن فـــيها قابلـــية إطالـــة العمـــر ، وأما من يؤمن بالإرادة الخارجية وخالقيـــتها للأمـــور والأشـــياء فـــيعلم أن دورها في العمل غير خارج عن إرادتـــه ســـبحانه ، ومـــن أنكـــر أو لـــم يفهـــم التوفـــيق مـــا بين الإرادة الخارجية وتلك الأمور المطيلة للعمر ، فعن جهل ليس إلاّ .

ونقـــول فـــي توضـــيح المطلـــب بمـــا يتناسب والمقام وقد تقدم شئ يسير منه:

قـــد ثبـــت أن الإرادة الخارجـــية خالقـــة لكل شئ ، والآيات القرآنية فـــي ذلـــك كثـــيرة ، ولـــيس مـــن المعقول أن يخلق الله تعالى شئياً يكون قاهـــر له ، معطـــلاً لأوامـــره ، فلابـــد أن يكون هناك وجهاً جامعاً ما بين الخالق والمخلوق بحيث يتفق وسنخية كل منهما .

قـــال تعـــالى : ﴿ **قُلِ اللَّـــهُ خَـــالِقُ كُـــلِّ شَـــيْءٍ وَهُـــوَ الْوَاحِـــدُ**

١ــ سورة العنكبوت : آية ٧٥.

الْقَهَّارُ ﴾[١].

فـإن لـم تكـن الأعمـال المطيلة للعمر قاهرة لإرادة الله سبحانه ، والحـق كذلـك ، بـل وأنهـا داخل ضمن إرادته سبحانه ، وإلاّ لما خلقها وأوجدهـا ، فضـلا عـن أن يعطـيها فاعلـية في إطالة العمر ، فإعطاه إلـيها هـذه المـيزة مـنحة من منحه ، التي لا تعد ولا تحصى ، أما كيفية عمـل هـذه الأسـباب ضـمن دائـرة الحـق جـلّ وعلا ، ولعل هذا هو المطلب الرئيسي .

قـال تعـالى : ﴿ **هُـوَ الَّـذِي خَلَقَكُـمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ** ﴾[٢] .

وقـال تعـالى : ﴿ **وَأَنِ اسْـتَغْفِرُوا رَبَّكُـمْ ثُـمَّ تُوبُـوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾[٣] .

وقـال تعـالى : ﴿ **قَالَـتْ رُسُـلُهُمْ أَفِـي اللَّـهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُـمْ لِـيَغْفِرَ لَكُـمْ مِـنْ ذُنُوبِكُـمْ وَيُؤَخِّـرَكُمْ إِلَـى أَجَـلٍ مُسَمًّى** ﴾[٤] .

وقـال تعـالى : ﴿ **وَلَـوْ يُؤَاخِـذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا**

١ــ سورة الرعد : من آية ١٦.

٢ــ سورة الأنعام : آية ٢.

٣ــ سورة هود : من آية ٣.

٤ــ سورة ابراهيم : من آية ١٠.

مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[1] .

يتبين وبوضوح من هذه المجموعة من الآيات وغيرها ، أن الأجل أجلان ، أجل مبهم ، وآخر مسمى ، والإبهام والتسمية راجعة للزمان ، فالمبهم زمانه غير محدد ، وذلك بخلاف الأجل المسمى ، حيث حدد فيه الزمان .

ففي الكافي عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة ، عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ **قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ** ﴾، قال: (هما أجلان أجل محتوم وأجل موقوف)[2] .

وفي تفسير العياشي : عن حمران ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿ **قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ** ﴾ ، قال : (هما أجلان ، أجل موقوف يصنع الله ما يشاء ، وأجل محتوم)[3] .

قال العلامة الطبطبائي في تفسيره للآية : فتبين بذلك أن الأجل أجلان : الأجل على إبهامه ، والأجل المسمى عند الله تعالى . وهذا هو الذي لا يقع فيه تغير لمكان تقييده بقوله (عنده) وقد قال تعالى : ﴿ **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ** ﴾ وهو الأجل المحتوم ، الذي لا يتغير ولا

١ــ سورة النحل : آية ٦١.

٢ــ الكافي : ج ١ ص ١٤٧.

٣ــ تفسير العياشي : ج ١ ص ٣٥٤ــ ٣٥٥.

يتبدل، قال تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ .

فنسبة الأجل المسمى إلى الأجل غير المسمى ، نسبة المطلق المنجز إلى المشروط المعلق ، فمن الممكن أن يتخلف المشروط المعلق عن التحقق ، لعدم تحقق شرطه الذي علّق عليه ، بخلاف المطلق المنجز ، فإنه لا سبيل إلى عدم تحققه البتة[1] .

ومن هذا المجموع تبين أن للإنسان أجلين قد قدرّهما الله سبحانه له ، أجل ثابت لا يتغير ، وبه يخرج عن دار الدنيا ، سواء طبق الأعمال المطيلة للعمر ، أم لم يطبقها ، وأجل آخر قد جعل الله فيه قابلية التأخير والتقديم ، والتقديم والتأخير لم يجعلهما الله بلا أسباب ، ومن بين تلك الأسباب الأعمال المطيلة للعمر ، فإن طبقها الإنسان ولم يأتيه الموت من خلالها ، بقي إلى أجله المسمى ، الذي هو غير قابل للتأخير والتقديم ، وإن لم يطبق تلك الأعمال لعل يأتيه الموت ، قبل أجله المسمى ، فيكون موته عند حلول أجله الأول ، وذلك لعدم عمله بالعوامل المؤثر في إطالة العمر ، وقد يبقى إلى أجله المسمى مع إخلاله وتقصيره في العمل بالعوامل المؤثرة في إطالة العمر ، وفوق كل هذا المصلحة ، التي يعلمها الله سبحانه بأمور البشر ، فيمدّ في عمر من يشاء إلى حلول أجله المسمى ، ويقبض من يشاء عند حلول أجله المتغير .

١ــ تفسير الميزان : ج ٧ ص ٩.

قـــال تعـــالى : ﴿ **يَمْحُـــوا اللَّـــهُ مَـــا يَشَـــاءُ وَيُثْبِـــتُ وَعِـــنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾[1] .

والحـــال فـــي المقـــام كالســـفينة التي يقدر لها مهندسها أمدا لقابليتها للعمـــل ، ولكـــن قولـــــه وتقديـــره لا يتنافى مع تكسرها من قبل قبطانها ، عـــند عـــدم مراعـــته لشـــرائط الإبحـــار ، فيتبين أن للسفينة أجلين ، أجل ثابـــت مـــن قـــبل مهندسها ، وأجل عند تكسرها بحادث ما ، وكلا الأجلين معلوم لدى مهندس السفينة .

والتمثـــيل بالســـفينة ومهندســـها للتقريـــب لـــيس إلاّ ، وإلاّ أين علم المهـــندس بعمـــر ســـفينته ، مـــن علـــم الله سبحانه بمخلوقاته ، فالمهندس وإن كـــان يعلـــم أن للســـفينة أجلين ، لكن لا على وجه الدقة والمصلحة ، كما في علم الله سبحانة بمخلوقاته .

١ــ سورة الرعد : آية ٣٩.

النقطة الرابعة :

طبيعيّة طول عمر الإنسان

لنفسك أن تختـــار سبـــعة أنســـر
إذا ما مضى نسر خلوت إلى نســـر
فعمّـــر حتـــى خـــال أن نســـوره
خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

تبيـــن مـــن خـــلال الأبحـــاث المـــتقدمة ، أنـــه توجد هناك عوامل وأســـباب لـــو طبقـــت لمنحـــت الإنسان عمراً أطول في دار الدنيا ، مضافاً إلـــى وقـــوع الإذن بذلـــك مـــن قـــبل بارئ النفوس ومصورها ، حيث إنّه وضـــع للإنســـان أجليـــن ، وأحدهمـــا مرتهـــن بالأخذ بالعوامل والأسباب المطـــيلة للأعمـــار ، فإمكانـــية إطالـــة العمـــر ، بـــل وحصوله للبعض ، يدعـــوان الإنســـان لأن يتمـــنى ويســـعى للـــبقاء حـــياً مدة أطول في هذه الدنـــيا، ولـــذا عـــندما يُســـمع بـــأن إنسان ما عمّر في الحياة أمداً طويلاً لا يُستغرب لذلك .

وها هو التأريخ ينقل لنا عن قوم ثمود أعمارهم الطويلة :

قـــال المفســـرون : إن عـــاداً لمّـــا أهلكـــت عمّـــرت ثمـــود بلادها وخلفوهـــم فـــي الأرض ، وكـــثروا وعمّـــروا أعمـــاراً طـــوالا ، حتى إن الـــرجل كـــان يبنـــي المسكن المحكم فينهدم في حياته ، فنحتوا البيوت في الجبال ، وكانوا في سعة ورخاء[1] .

١ــ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٠ ص ٢٦٢.

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[1] .

فالتعمير في دار الدنيا طبيعي ، وقد وقع ذلك لأناس كثير بينهم الصالح والطالح ، ولإختصار البحث ننقل شواهد من ذلك .

١ــ الخضر عليه السلام : الذي نفّذ وصية آدم عليه السلام لولده ، بأن يدفن في بلاد الشام ، وبقي جسده ينتقل من يد إلى أخرى لعدم التمكن من دفنه ، إلى أن وصل إلى نوح عليه السلام ، ثم إلى ولّده (سام ويافث وحام) ، ولم يتمكنوا من دفنه بها ، إلى أن وصل الأمر إلى الخضر عليه السلام ، فدفنه بها ، وكان آدم عليه السلام قد دعا الله تعالى أن يطيل عمر من يدفنه ، وقد أنجز الله تعالى ذلك للخضر ، فهو حي يرزق إلى يومنا هذا ، قال صاحب كتاب كنز الفؤاد وهذا حديث رواه المشايخ الثقات[2] .

٢ــ لقمان بن عاد الكبير : أطول الناس عمراً بعد الخضر عليه السلام، وذلك أنه عاش الف سنة وخمسمائة سنة ، ويقال أنه عاش عمر سبعة أنسر[3] ، وأنه كان يأخذ فرخ النسر الذكر فيجعله

١ــ سورة الأعراف : آية ٧٤.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٨.

٣ــ قال الدميري : النسر طائر معروف وهو عريف الطيور ، ويقول في صياحه (يا ابن ادم عش ما شئت فإن الموت ملاقيك) كذا قال الحسن =

فـــي الجـــبل ، فيعـــيش النســـر منها ما عاش ، فإذا مات أخذ آخر فرباه ، حـــتى كـــان آخـــرها لـــبد ، وكان أطولها عمراً ، فقيل طال الأبد على لبد، ولما رأى هلاكه ، قال: يا لبد أهلكتني نفسك .

وفيه يقول الأعشى :

لنفســـــك أن تخـــــتار ســـــبعة أنســـــر

إذا مـــا مضـــى نســـر خلوت إلى نســـر

فعمّـــــر حـــــتى خـــــال أن نســـــوره

خلـــود وهـــل تـــبقى النفوس على الدهر

وقـــــال لأذناهـــــن إذ حـــــلّ ريشـــــه

هلكـــــت وأهلكـــــت ابـــن عـــــاد[1]

٣ــ ربـــيعة بـــن ضـــبع بـــن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عـــبس بـــن قـــرادة عـــاش ثلاثمائة سنة وأربعين سنة ، وأدرك النبي ﷺ، وهو الذي يقول وقد جاوز المائتين :

= بـــن علـــي عليه السلام ، قـــال : فـــي هـــذا مناسبة لما خص النسر به من طول العمـــر ، يقـــال أنـــه أطـــول الطـــيور عمـــراً ، وأنـــه يعمر ألف سنة . بحار الأنوار : ج ٦١ ص ٢٩ــ٣٠.

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٩.

ألا أبلـــغ بنـــي بنـــي ربيـــع واشـــــرار البنيـــن بكـــم فـــداء
بأنـــي قـــد كـــبرت ودقّ عظمي فـــــلا يشـــغلكم عنـــي النســـاء

إلى قوله :

إذا عـــاش الفـــتى مائتيـــن عاما فقـــــد ذهـــب اللـــذاذة والفـــتاء

وهو القائل :

أصـــبح منـــي الشباب قد حسرا أن يـــنأ عنـــي فقـــد ثوى عصرا[1]

٤ــ المســتوغر بــن ربــيعة بــن كعــب عاش ثلاثمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة ، وهو الذي يقول :

ولقـــد سئمت من الحياة وطولها وعمّـــــرت مـــن بعد السنين مئينا
أتـــت مـــــن بـــعدهـــا مأ تـــان لي وعمّرت من بعد الشهور سنينا[2]

٥ــ اكـــثم بـــن صـــيفي الأسدي التميمي ، وكان حكيماً مقدماً ، ولم تكـــن العـــرب تفضـــل علـــيه أحداً ، عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين وهو الذي يقول :

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٩.
٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٩.

وإن امـــرؤ قد عاش تسعين حجة إلـــى مائـــة يســـام العـــيش جاهل
خلت ماتان بـــعد عشـــر وفازها وذلـــك مـــــن عـــدّ الليالـــي قلائل

وكـــان ممـــن أدرك الإســـلام وآمـــن بالنبـــي ﷺ ، ومـــات قبل أن يـــراه ... وقـــد كتـــب لرســـول الله ﷺ مـــع ابنه كتاباً ، يقول فيه بسمك اللهـــمّ مـــن العـــبد إلى العبد ، فإنا بلغنا ما بلغك ، فقد آتان عنك خبر ، لا نـــدري مـــا اصـــله ، فـــإن كنـــت أريت فأرنا ، وإن كنت علمت فعلمنا ، وأشـــركنا فـــي كـــنزك والســـلام ، فكتـــب إلـــيه رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمـــن الرحـــيم مـــن محمـــد رســـول الله ﷺ ، إلـــى أكثم بن صيفي ، أحمـــد الله إلـــيك أن الله أمرنـــي أن أقـــول لا إله إلاّ الله ، وآمر الناس بها، الخلـــق خلـــق الله ، والأمـــر كلّـــه لله ، خلقهم وأماتهم وهو ينشرهم وإليه المصـــير ، آذنـــتكم بـــأداب المرســـلين ، ولتســـئلنّ عـــن النـــبأ العظيم ، ولتعلمـــنّ نـــبأه بعـــد حيـــن ، فلمّـــا وصل كتاب رسول الله ﷺ، جمع بني تمـــيم ووعظهـــم وحـــثهم علـــى المســـير معه إليه ، وعرفهم وجوب ذلك علـــيهم ، فلـــم يجيـــبوه وعـــند ذلـــك سار إلى رسول الله ﷺ وحده ، ولم يتبعه غير بنيه وبني بنيه ، فمات قبل أن يصل إليه ...[1] .

٦ــ صـــبيرة بـــن ســـعيد بـــن ســـهم بـــن عمرو عاش مائتي سنة وعشـــرين ســـنة ، ولـــم يشـــب قط ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ؛ روى أبو حـــاتم والرياشـــي ، عـــن العتبـــي ، عن أبيه ، قال : مات صبيرة السهمي

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠.

وله ماتا سنة وعشرون سنة ، وكان أسود الشعر صحيح الأسنان .

فرثاه ابن عمه قيس بن عدي فقال :

مـــن يأمـــن الحدثان بعد صبيرة السهمي ماتا
ســـبقت منيـــته المشيب وكأن ميتته افتلانا
فـــتزودوا لا تهلكـــوا من بين أهليكم خفاتا[1]

٧ــ دريـــد بـــن زيـــد بـــن نهـــد القضاعي عاش اربعمائة سنة وستاً وخمسين سنة ، فلمّا حضره الموت قال :

القـــــى علـــــى الدهـــــر رجـــــلاً ويـــــدا
والدهـــر مـــا اصـــلح يومـــا افســـدا
يفســـــد مـــا اصـــلحه الـــيـــوم غـــدا

وقال أيضاً :

يـــا رب نهـــب صـــالح حويـــته والـــيـــوم يكفـــي لدريـــد بيـــته
ورب بـــــطل قـــــرن اردبـــته ورب عـــــبـــل خشـــــن لديـــــته
لـــو كـــــان للدهـــر بلـــى ابليته أو كـــــان قرنـــي واحـــداً كفيته[2]

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٠.
٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٠.

٨ ــ دريد بن الصمة الحبشي عاش دهراً طويلاً ، وسقط حاجباه على عينيه ، وقيل أنه لم يتجاوز مائتي سنة ، وادرك الإسلام فلم يسلم ، وشهد حنين مع هوازن ، وقتل به ...[1] .

٩ــ عمرو بن حممة الدوسي عاش اربعمائة سنة وهو الذي يقول :

كبرت فطال العمر حتى كأنني
سليم أفاع لليله غير مودع
فما الموت افنانـي ولكن تتابعت
عليّ سنون من مصيف ومربع
ثلاث مائين قد مررن كواملا
وها أن هذا ارتجي مرّ اربع
فاصبحت مثل النسر حلّ جناحه
إذا همّ تطيار يقال له قع

... عن مجالد الشعبي ، قال: كنا عند ابن عباس في قبة زمزم، وهو يفتي الناس ، فقام إليه رجل ، فقال: لقد افتيت أهل الفتوى ، فافت أهل الشعر ، قال: قل ، قال: ما معنى قول الشاعر:

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

لـذي الحلـم قـبل الـيوم مـا يقرع العصا

ومـــا عِـــلم الإنســـان إلاّ لـــيعلما

فقـال: ذاك عمـرو بـن حممة الدوسي ، قضا على العرب ثلاثمائة سـنة، فلمـا الـزموه قـد رأى السادس أو السابع من ولده ، قال إن فؤادي بضـعة منـي ، فـربما تغـيّر علـي اليوم والليلة مراراً ، وأمثل ما اكون فـيها فـي صـدر النهار ، فإذا رأيتني قد تغيرت فاقرع العصا ، فكان إذا راى منه تغيّراً قرع العصا ، فيراجعه فهمه فقال الملتمس :

(لـذي الحلـم قـبل الـيوم ما تقرع العصا وما عِـلم الإنسان إلاّ ليعلما)[1] .

١٠ــ زهـير بـن جـناب بـن عـبد الله بـن كـنانة بـن عوف القضـاعي، عـاش اربعمائـة سنة وعشرين سنة ، وكان سيداً مخلصاً في قومـه ، ويقـال أنـه كانـت له عشـر خصال لم يجتمعن في غيره ، عن أهـل زمانـه كـان سـيد قومه وخطيبهم وشاعرهم وحكيمهم ووافدهم إلى الملـوك وطبيـبهم ... وكاهـن قومـه وفارسهم وله البيت فيهم وله العدد منهم [2] .

١١ــ الحـرث بـن مضـاض الجرهمـي أخو إسماعيل عليه السلام من ولـد جـرهم الأكـبر، وجـرهم بن قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشد

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

بن سام بن نوح عليه السلام ، عاش اربعمائة سنة وهو القائل :

كـــان لـــم يكـــن بيـــن الحجـــون إلى الصفا

أنـــيس ولـــم يســـــمر بمكـــة ســـامر

بلـــى نـــحـــن كـــنـــا اهلـــهـــا فـــابـــادنـــا

صـــروف الليالـــي والجـــدود العواثـــر

وهي قصيدة طويلة قد رواها الناس[1] .

١٢ــ الحـــرث بـــن كعـــب المذحجـــي عاش مائة وستين سنة ، وله وصيّة حسنة لقومه وكان على شريعة المسيح عليه السلام وهو القائل :

اكلـــــت شـــبـــابي فامـــضـــيته وامضـــيت مـــن بعـــد دهـــر دهورا
ثـــلاث أهليـــن جـــاورتهم فـــبادوا واصـــبحت شـــيخاً ضـــعيفاً كبـــيرا
قـــلـــيل الطعـــام عســـــير القـــيام قـــد تـــرك الدهـــر خطـــوي قصـــيرا
ابيـــت اراعـــي نجـــوم الســـــماء اقلـــب امـــري بطـــونـــا ظـــهورا [2]

١٣ــ الأفـــوه بـــن مـــالك الأودي عـــاش مائتين وثلاثين سنة ، وله وصيّة لقومه ، وقصيدته المشهورة عنه :

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

فيـــنا معاشـــــر لـــن يبـــنـوا لقومهـــم

وإن بنـــي قومهـــم مـــا افســـدوا واعادوا

لا يرشـــــدن ولـــــن يـــــرعوا لمرشـــــدهم

فـــالجهـــلِ مـــنهم معا والفـــى مبِـــعاد[1]

١٤ــ نضـــر بـــن دهمـــان بـــن سليم بن اشجع ، عاش مائة وتسعين ســـنة ، وعـــاوده شـــبابه ، وســـواد شعره ، وصحة عقله ، بعد ما مضى ذلك ، وفيه يقول العباس بن مرداس السلمي :

وراجعـــه شـــرخ الشـــباب الـــذي فاتـــا

وراجـــع عقـــلاً بعـــد مـــا فـــات عقله[2]

١٥ــ أمـــية بـــن الأســـكر الليثـــي ذكـــر أنـــه عاش دهراً طويلا ، حـــتى خـــرف فمـــرّ بـــه غلام كان يرعى غنمه ، وهو يحثوا التراب على رأســـه مـــن الكـــبر ، فوقف ينظر إليه ، فلمّا أفاق أمية بصر بالغلام قائماً ينظر إليه فأنشأ يقول :

أصـــبحت لهـــواً لراعـــي الضـــان اعجـــبه

مـــاذا يريـــبك منـــي راعـــي الضـــان

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٢.

أنعــق بضـــــانك فـــــي نجـــــم تحقــره

مـــــن الابـــاطح أو احبســـها بحـــدان

أنعــق بضـــــانك أنـــي قـــــد رعيـــتـــهم

بـــيـــض الوجـــوه بنـــي عـــم واخوان[١]

١٦ــ جعــثم بـــن عـــوف بـــن خديجة عاش مائتين وخمسين سنة ، وقال:

حـــتى مـــتى جعـــثم فـــي الأحـــياء

لـــــيـــس بـــــذي أيـــــد ولا غـــــناء

هـــيهات مـــا للمـــوت مـــن دواء[٢]

١٧ــ أوس بـــن ربـــيعة بـــن كعـــب بـــن أمية الأسلمي عاش مائتي سنة وابع عشرة سنة وهو الذي يقول :

لقـــد عمـــرت حـــتى ملّ أهلي ثوائـــي عـــندهم وسـئمت عمري

وحـــــق لمـــن اتى مأتين عاما علـــيه واربـــع مـــن بعد عشـــر[٣]

١ــ كنز الفؤاد : ص٢٥٢.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٣.

٣ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٣.

١٨ــ كعب بن الرداد بن هلال بن كعب عاش ثلاثمائة سنة حتّى ملّ! من حياته فقال :

لقد ملني الأدنى وأبغض رؤيتي
وأبنائي إلاّ يحب كلامي
على الراحتين مرة وعلى العصا
أكون ملياً ما أقل عظامي
فيا ليتني قد سخت في الأرض قامة
وليت طعامي كان فيه حمامي[1]

١٩ــ أنس بن نواس بن مالك بن حبيش بن ربيعة ، عاش دهراً طويلاً ، ونبتت اسنانه بعد ما سقطت فقال :

اصبحت من بعد البزول راعياً وكيف الرباعي بعد ما شق بازله

إلى آخر أبياته[2] .

٢٠ــ ثعلبة بن عبد بن كعب بن عبد الأشهل ، عاش مائتي سنة وثلاثا وثلاثين سنة ، وهو جد الضحاك ، وهو القائل :

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٣.
٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٣.

لقـــد صـــاحبت اقوامـــاً قـــاموا حفـــاة لا يجـــاب لهـــم دعـــــاء
وقـــومـــاً بعدهـــم نـــادمونـــي فامســـى موحشـــاً مـــنهم قـــناء

إلى آخر ابياته[١] .

٢١ــ بحـــر بـــن الحـــارث بـــن امـــرئ القيس الكلبي ، عاش مائة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلام ، فلم يسلم وهو القائل :

مـــن عـــاش خمســـين عامـــا قـــبلها مائـــة

مـــن الســـنين واضـــحى بعـــد ينتظـــر

وصـــار فـــي البيـــت مـــثل الحلس مطروحاً

لايستشـــار ولا يعطـــى ولا يـــذر

مـــلّ العـــيش ومـــلّ الأقـــربون لـــه

طـــول الحـــياة وشـــرّ العيشة الكبـــر[٢]

٢٢ــ ذو جـــدن الحمـــيري وكـــان ملكـــاً ، روى أنه عاش ثلاثمائة سنة[٣]

٢٣ــ قـــس بـــن ســـاعدة الأيـــادي رحمه الله ، عاش دهراً طويلاً .

١ــ كنز الفؤاد : ص٢٥٣.

٢ــ كنز الفؤاد : ص٢٥٤.

٣ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٤.

فـــروي أنـــه عـــاش ســـتمائة سنة ، وروي أقل من ذلك ، وكان من عقلاء العـــرب وحكمـــائهم ، وهـــو أول مـــن كتب من فلان بن فلان إلى فلان ، وهـــو ممـــن وحّـــد الله تعـــالى ، وآمـــن بـــه ، وأقرّ بعدله وحكمته ، وأنه خلـــق العـــباد وينشـــرهم بعـــد الممات ، وهو أول من قال أما بعد ، وأول من خطب بعصا .

وللشعراء فيه أبيات منها ما قاله الحطيئة :

واقـــول مـــن قـــس وامضـــى إذا مضـــى

مـــن الـــريح إن مـــسّ الـــنفوس نكالهـــا

وكـــان كثـــيراً مـــا يذكـــر رسول الله ﷺ ، ويبشر الناس به ، وآمن بـــه قـــبل مبعـــثه ، وكـــان النبي ﷺ يستعلم أخباره ، ويستعيد من الناس مواعظه ، ويترحم عليه ، ويقول أن قساً أمة وحده .

ويُذكر له شعراً :

فـــي الذاهبيـــن الأوليـــن مـــن القـــرون لنا بصائر

لمـــا رايـــت مـــواردا للموت ليس لها مصادر

ورايـــت قومـــي نحوهـــا يسعى الأصاغر والأكابر

لا يـــرجع الماضـــي ولا يبقى من الباقين غابر

أيقنـــت أنـــي لا محالـــة حيث صار القوم صائر[١]

٢٤ــ ســـلمان الفارســـي رحمـــه الله ، وأنـــه عـــاش مائتيـــن مـــن السنين[٢] .

٢٥ــ عمـــرو بـــن العـــاص ، وأنـــه عـــاش في الجاهلية والإسلام مائي سنة ، وأنه قال حين أحس الموت :

مضـــت مائـــتا حـــول لعمـــرو وبعـــده

رمـــته المـــنايا بالســـــهام القواصـــد

فمـــات ومـــا حـــي وإن طـــال عمـــره

علـــى مـــرّ أيـــام الســـنين بخـــالد[٣]

٢٦ــ آمـــد بـــن لـــبد عـــاش ثلاثمائـــة وســـتين سنة ... وأدرك معاويـــة بـــن أبـــي سفيان في حكمه بالشام ، ومما أجاب به معاوية عندما ســـأله عـــن الـــزمان ، قـــال : يوم شبيه يوم ، وليلة شبيهة بليلة ، يموت ميـــت ، ويولـــد مولـــود ، ولـــولا من يموت لم تسعهم الأرض ، ولولا من يولـــد لـــم يـــبق أحـــد على وجه الأرض ؛ ومما جاء في حديثه مع معاوية عـــندما ســـأله فهـــل رأيـــت محمـــداً ؟ قـــال : مـــن محمد ، قال : رسول

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٤ــ ٢٥٥.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦٠.

٣ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦٠.

الله صلى الله عليه وآله ، قال : ويحك أفلا فخَمته كما فخَمه الله فقلت رسول الله صلى الله عليه وآله...[١] .

٢٧ــ عبيد بن شريد الجرهمي عاش ثلاثمائة سنة ، وأدرك معاوية في حكمه بالشام وله معه حديث[٢] .

٢٨ــ العوام بن المنذر الطائي عاش دهراً طويلا في الجاهلية، وبقي إلى أن ادرك خلافة عمر بن عبد العزيز[٣] .

٢٩ــ تميم ين ثعلبة بن عطاية الربعي عاش مائتي سنة .

٣٠ــ معد كرب الحميري من آل ذي رغين عاش مائتين وخمسين سنة .

٣١ــ جعفر قرط الجهني عاش ثلاثمائة سنة وأدرك الإسلام وأسلم .

٣٢ــ عوف بن كنانة الكلبي عاش ثلاثمائة سنة .

٣٣ــ هبل بن عبد الله بن كنانة الكلبي عاش ستمائة وسبعين سنة .

٣٤ــ وحصين ين عتبان الزبيدي عاش مائتين وخمسين

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦٠.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦١.

٣ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦١.

سنة[١].

وأنـــاس أُخـــر يذكـــرهم صـــاحب الكتاب ، وكذا في كتاب الإيضاح فـــي الإمامـــة للشـــيخ المفـــيد ، وبحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٥٨ باب ذكر اخـــبار المعمريـــن ، وكـــتاب المعمريـــن لأبـــي حاتم السجستاني والآمالي للســـيد المرتضـــى بـــاب ذكـــر شـــئ مـــن أخـــبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم ج ١ ص ١٦٧.

هـــذه مجموعـــة شـــواهد لمـــن طالـــت أعمـــارهم فيما مضى من الـــزمان ، وكثـــير مـــا تنقل الصحف والإذاعات ووسائل الإعلام الأخرى عـــن أنـــاس قـــد طالـــت أعمـــارهم فـــي زمانـــنا ، فقد تجاوز في بعض المـــوارد المـــنقولة المائـــة والســـتين ســـنة ، وهـــذا مـــا يعادل الضعف للأعمار المتعارفة في زماننا .

فمســـألة قابلـــية إمـــتداد العمـــر مسألة طبيعية ، ومتوقعة في كل من كُتـــب له الولـــوج فـــي الحـــياة الدنيا ، فلا إعجاز فيمن طالت أعمارهم ، ولا أنّهـــا خـــاص بفـــرد دون فـــرد ، ولو كانا كلا الأمرين ، أو أحدهما ، لَما تُمني إطالة العمر من قبل الباقين من الناس .

التسليم بالأمر الواقعي رضوخ للحق

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦١ ، شامل للأرقام من ٢٩ إلى ٣٤.

النقطة الخامسة :

الإمام المهدي (عج)

هل ورد في المهدي (عج) نص ؟

وهل ولد ؟ أم أنه يولد في آخر الزمان ؟

هل ورد في المهدي (عج) نص ؟

نصـــت المصـــادر الشـــيعية والســـنية (الخاصـــة والعامـــة) على تلـــك الشخصـــية ، وتلـــك النصـــوص صـــدرت مـــن صـــاحب الشريعة (النبـــي ﷺ) ، المـــتفق علـــى حجـــيّة قولـــه وفعله عند كلا الطائفتين ، فضلا عن باقي الطوائف الإسلامية .

وقـــول الرســـول ﷺ وفعلـــه حجة على كل مسلم ليس مجرد كلام، فـــإن معـــنى الحجـــيّة هـــو تنفـــيذ مـــا يأمر به ﷺ ، والإنتهاء عمّا ينهى عـــنه ﷺ ، والإعـــتقاد بمـــا كـــان يعـــتقده ﷺ ، فـــلا مجـــال للمـــيول والأغـــراض ... معهـــا ، حيـــث إن الحال مع حجيّة الرسول ﷺ ليس له طـــرف ثالـــث ، فإمـــا أن يؤخـــذ بكلامـــه ﷺ ويعمل به ، فيورث رضا الـــرب ، ونعـــيم الجـــنة ، وإمـــا أن تقـــدم الميول والأغراض ... فيورث غضب الرب وخسران الآخرة .

قـــال تعـــالى : ﴿ **وَمَـــا آتَـــاكُمُ الرَّسُـــولُ فَخُـــذُوهُ وَمَـــا نَهَاكُمْ عَنْهُ**

فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾[٣] .

ومما ورد في مصادر الشيعة من تلك النصوص:

عن معمر بن راشد عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من ولدي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته ، فقدمه وصلى خلفه[٤] .

وعن سلمان الفارسي رحمه الله قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه ، الذي قبض فيه ، فجلست بين يديه وسألته عمّا يجد ، وقمت لأخرج ، فقال لي : اجلس يا سلمان فسيشهدك الله عزّ وجلّ أمراً إنه لمن خير الأمور ، فجلست فبينا أنا كذلك دخل رجال من أهل بيته ، ورجال من اصحابه ، ودخلت فاطمة ابنته فيمن دخل، فلمّا رأت ما برسول الله صلى الله عليه وآله من الضعف خنقتها العبرة ، حتى فاضى دمعها على خدها ، فأبصر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : ما يبكيك يا

١ــ سورة الحشر : من الآية ٧.

٢ــ سورة الأنفال : آية ٢٠.

٣ــ سورة النساء : آية ٨٠.

٤ــ بحار الأنوار : ج ١٤ ص ٣٤٩.

بنـــية! أقـــرّ الله عيـــنك ولا أبكاهـــا ، قالـــت : وكيف لا أبكي وأنا أرى ما بـــك مـــن الضـــعف ؟ قـــال لهـــا : يا فاطمة توكلي على الله واصبري ... ألا أبشـــرك يـــا فاطمـــة ؟ قالـــت : بلـــى يـــا نبي الله ، أو قالت: يا أبت ، قـــال: أمـــا علمـــت أن الله تعـــالى اختار أباك فجعله نبياً ... واختارني فأنا ســـيد ولـــد آدم ، وعلـــي ســـيد العـــرب ، وأنـــت سيدة النساء ، والحسن والحســـين ســـيدا شـــباب أهـــل الجـــنة ، ومن ذريتك المهدي يملأ الله عزّ وجلَّ به الأرض عدلا ، كما ملئت بمن قبله جوراً [1] .

وعـــن عمـــار بـــن ياســـر ، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في بعض غـــزواته ، وقـــتل علـــي عليه السلام اصـــحاب الألويـــة ، وفرق جمعهم ، وقتل عمـــرو بـــن عـــبد الله الجمحـــي ، وقـــتل شـــيبة بـــن نافع ، أتيت رسول الله ﷺ ، فقلـــت : يـــا رســـول الله إن علـــيا قد جاهد في الله حق جهاده ، فقـــال: لأنـــه منـــي وأنـــا منه ... ألا أنه أبو السبطين والأئمة بعدي ، من صـــلبه يخـــرج الله تعـــالى الأئمـــة الراشـــدين ، ومنهم مهدي هذه الأمة ، فقلـــت : بأبـــي أنـــت وأمـــي يا رسول الله ما هذا المهدي؟ قال : يا عمار إن الله تـــبارك وتعـــالى عهـــد إلـــي أنـــه مـــن صلب الحسين أئمة تسعة ، والتاســـع مـــن ولـــده يغيـــب عنهم ، وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْـــبَحَ مَـــاؤُكُمْ غَـــوْراً فَمَـــنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ** ﴾ يكون له غيبة طويلة ، يـــرجع عـــنها قـــوم ، ويثبـــت علـــيها آخرون ، فإذا كان في آخر الزمان يخـــرج فـــيملأ الدنـــيا قســـطاً وعـــدلاً ، ويقـــاتل على التأويل ، كما قاتلت

١ــ بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ٥٠٢ ــ ٥٠٣.

على التنزيل ، وهو سميي واشبه الناس بي[١] .

وعن عطاء بن السائب ، عن أبيه عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي من ولدي، ولا يخرج المهدي ، حتى يخرج ستون كذاباً كلهم يقول : أنا نبي)[٢].

قال النعماني في غيبته : هذه الروايات ــ روايات في الإمام المهدي (عج) ــ تشهد بصحة الغيبة وبإختفاء العلم ، والمراد بالعلم الحجة للعالم ، وهي مشتملة ، على أمر الأئمة عليهم السلام للشيعة ، بأن يكونوا فيها على ما كانوا عليه لا يزولون ولا ينتقلون ...[٣] .

ومما ورد في مصادر السنة من تلك النصوص :

عن محمد بن جعفر ، قال: حدثنا شعبة ، قال: سمعت زيداً أبا الحواري ، قال : سمعت أبا الصديق الناجي يحدّث ، عن أبي سعيد الخدري ، قال: خشينا أن يكون بعد فينا حدث فسألنا رسول الله ﷺ ، قال : فقال : (يخرج المهدي في أمتي خمساً أو سبعاً أو تسعاً زيّد الشك . قال : قلت أيّ شيء ، قال : سنين ... قال : يجيء الرجل إليه فيقول : يا مهدي أعطني أعطني ، قال : فيحثي له في ثوبه ما

١ــ بحار الأنوار : ج ٣٣ ص ١٨.

٢ــ الإرشاد : ج ٢ ص ٣٧١.

٣ــ ا لغيبة للنعماني : ص ١٦٠.

استطاع أن يحمل ...)[١] .

عـــن أبـــي ســـعيد الخـــدري قال : ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هـــذه الأمـــة ، حـــتى لا يجـــد الرجل ملجأً يلجأ إليه من الظلم ، فيبعث الله رجـــلاً مـــن عترتـــي مـــن أهـــل بيتي ، فيملأ به الأرض قسطاً كما ملئت ظلمـــاً وجـــوراً ، يرضـــى عـــنه ســـكان السماء وسكان الأرض ، لا تدع الســـماء مـــن قطـــرها إلاّ صبّته مدراراً ، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلاّ أخرجـــته ، حـــتى تتمـــنى الأحـــياء الأمـــوات ، يعـــيش في ذلك سبع سنين، أو ثمانية أو تسع سنين[٢] .

وعـــن الفضـــل بـــن دكيـــن ، وأبو داود ، عن ياسين العجلي ، عن إبراهـــيم بـــن محمـــد بـــن الحنفـــية عـــن أبـــيه ، عـــن علي عليه السلام ، عن النبـــي ﷺ قـــال : قـــال رســـول الله ﷺ : (المهـــدي مـــنّا أهـــل البيت يصلحه الله في ليلة)[٣] .

وعـــن أبـــي هريـــرة ، عـــن جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك ، قـــال : قـــال رســـول الله ﷺ : كـــيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة علـــى ثـــلاث وســـبعين فـــرقة ، واحـــدة في الجنة ، وسائرهن في النار ، قلـــت: ومـــتى ذالـــك يـــا رســـول الله ؟ قال : إذا كثرت الشرط ، وملكت الإمـــاء ، وقعـــدت الحمـــلان علـــى المـــنابر ، واتخذوا القرآن مزامير ،

١ــ مسند أحمد : ج ٣ ص ٢١ .

٢ــ المصنف : ج ١١ ص ٣٧١ ــ ٣٧٢ .

٣ــ المصنف لابن لأبي شيبة الكوفي : ج ٨ ص ٦٧٨.

وزخرفت المساجد ، ورفعت المنابر ، واتخذ الفيء دولا ، والزكاة مغرما ، والأمانة مغنما ، وتفقه في الدين لغير الله ، وأطاع الرجل إمرأته ، وعق أمه ، وأقص أباه ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، واكرم الرجل إتقاء شرّه ، فيومئذ يكون ذلك ، ويفزع الناس يومئذ إلى الشام ، تعصمهم من عدوهم ، قلت : وهل يُفتح الشام ، قال : نعم وشيكا ، ثم ذكر بعد فتحها الفتن ، ثم تجئ فتنة غبراء مظلمة ، ثم يتبع الفتن بعضها بعضاً، حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي ، فإن ادركته فاتبعه ، وكن من المهتدين[1] .

قال العظيم آبادي صاحب كتاب عون المعبود : واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام ، على ممر الأصار ، أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت ، يؤيد الدين ، ويظهر الإسلام ، ويتبعه المسلمون ، ويستولي على الممالك الإسلامية ، ويسمى بالمهدي ، ويكون خرج الدجال ، وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره ، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده ، فيقتل الدجال ، أوينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدي في صلاته .

وخرّجوا أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم أبو داود

١ــ المعجم الكبير : ج ١٨ ص ٥١. وفي كنز العمال ج ١١ ص ١٨٣ــ ١٨٤ / ٣١١٤٤.

والـــترمذي وابـــن ماجـــة والـــبزار والحـــاكم والطبرانـــي وأبـــو يعلـــي الموصـــلي ، واســـندوها إلـــى جماعـــة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابـــن عمـــر وطلحـــة وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخـــدري وأم حبيـــبة وأم ســـلمة وثوبـــان وقـــرة وبن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنهم

وإســـناد أحاديـــث هـــولاء بين الصحيح وحسن وضعيف ، وقد بالغ الإمـــام المـــؤرخ عـــبد الرحمـــن بـــن خلـــدون المغربـــي في تأريخه في تضعيف أحاديث المهيدي كلّها ، فلم يصب بل أخطأ [١] .

من هو المهدي ؟

وهل ولد.؟ أم أنه يولد في آخر الزمان ؟

المهـــدي (عـــج) الـــذي نصّـــت على روايات المسلمين هو محمد بن الحســـن بـــن علـــي بـــن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علـــي بـــن الحســـين بـــن علـــي بن أبي طالب عليه السلام بن عبد المطلب بن هاشـــم بـــن عـــبد مـــناف بـــن قصـــي بن كلاب بن مرة بن كعب بن ابن لـــؤي [لـــؤي] بـــن غالـــب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بـــن مدركـــة بـــن الـــياس بـــن مضـــر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بـــن أدد بـــن الهميســـع بـــن عابـــر بـــن صـــالح بـــن بنت إسماعيل بن ابراهيم ...[٢] .

١ــ عون المعبود : ج ١١ ص ٢٤٣ ــ٢٤٤.

٢ــ أنساب الأشراف : ج ١ ص ٢٥.

فـــالمهدي (عـــج) قرشـــي الأصـــل ، كمـــا هـــو واضح من سلسلة النسب ، بل ومن ارقى بيوتات قريش وأشرفها .

عـــن محمـــد بـــن المثـــنى ، حدّثـــنا غندر ، حدّثنا شعبة ، عن عبد الملـــك قـــال : ســـمعت جابـــر بن سمرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله (يقول : يكـــون أثـــنا عشـــر أمـــيراً ، فقال كلمة لم اسمعها ، فقال أبي : أنّه قال : كلّهم من قريش)[١] .

قـــال رســـول الله صلى الله عليه وآله : (يكـــون لهـــذة الأمـــة اثنا عشر قيّماً ، لا يضرهم من خذلهم ، كلّهم من قريش)[٢] .

وعـــن ســـليمان بـــن عـــبد الله مولى عامر الشعبي ، عن عامر أنه قـــال : قـــال رســـول الله صلى الله عليه وآله : (لا يـــزال أمـــر أمتـــي ظاهـــراً ، حتى يمضي إثنا عشر خليفة ، كلّهم من قريش)[٣] .

أمـــا إنتســـابه لرســـول الله صلى الله عليه وآله فعـــن طـــريقة ابنته فاطمة عليها السلام ، حيـــث إن جـــدّ المهـــدي (عـــج) الثامـــن الحسين بن علي بن أبي طالب ، والحسين عليه السلام ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

عـــن أم ســـلمة قالـــت : ســـمعت رســـول الله صلى الله عليه وآله يقول : (المهدي

١ــ صحيح البخاري : ج ٤ ص ١٧٥. نقلاً عن منتخب الأثر : ص ٤٥.

٢ــ منتخب كنز العمال / المطبوع بهامش مسند أحمد : ج ٥ ص ٣١٢.

٣ــ كمال الدين وتمام النعمة : ص ٢٧٤

من عترتي من ولد فاطمة)[١] .

أمّا عن حال ولادته :

المعروف لدى المسلمين أن من عقائد الشيعة ، القول بولادة المهدي (عج) ، ولديهم في ذلك روايات كثيرة تنصّ على ولادته (عج) .

روى علاّن الكليني ، عن محمد بن يحيى ، عن الحسن بن علي النيسابوري الدّقاق ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى بن جعفر عليه السلام ، عن السّياري قال : حدّثني نسيم ومارية قالت : لمّا خرج صاحب الزمان من بطن أمه سقط جاثياً على ركبتيه ، رافعاً سبّابتيه نحو السّماء ، ثمَّ عطس فقال : (الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله عبداً داخراً غير مستنكف ولا مستكبر) ، ثمَّ قال : زعمت الظّلمة أنّ حجّة الله داحضة ، ولو أذن لنا في الكلام لزال الشّكّ [٢] .

ولكن عقائد الطائفة السنية لم تبن على القول بولادته ، فذهب الأكثر منهم إلى أنه يولد في آخر الزمان ، ولا يوجد عندهم نص صريح ـ بأن يقول قد ولد ـ بولاته (عج) عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذلك للفترة الزمنية ما بين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وولادة الإمام المهدي (عج)، والمعروف أن الطائفة السنية توقف النص عندها بوفاة

١ــ كنز العمال : ج ١٤ ص ٢٦٤ .

٢ــ الغيبة للنعما ني : ص ١٦٣.

رسول الله ﷺ ، وهذا بخلاف ما عليه الشيعة ، حيث ترى أن النص ممتد مع خلفاء النبي ﷺ ما بقوا .

فخلو المصادر السنية عن نص نبوي صريح بولادة المهدي (عج) طبيعي ، وذلك لسبق زمان وفاة الرسول ﷺ ، زمان ولادة الإمام المهدي (عج) .

لكن هذا لو توقف الكلام على نصّ صريح بالشكل المتقدم ، حيث إن للتصريح اشكال ، وكلّها حجة على من سمعها ونقلها ، فقد نقلوا في مصادرهم أن الأئمة بعد الرسول إثنا عشر ، أو بعدد نقباء بني إسرائيل وكلّهم من قريش ، أو من بني هاشم ، فهنا يقع التساؤل عن هذا العدد من الخلفاء والأئمة ، ومما لا شك فيه أن خلفاء الدولة الأموية وإن إنطبق عليهم أنهم من قريش ، ولكن عددهم تجاوز ما نصّ عليه رسول الله ﷺ حيث بلغ ثلاث عشر حاكماً ، هذا مضافاً إلى أنهم ليس من عترة الرسول ﷺ ، وليس من ولده ، فضلاً عن وضعهم الديني وسيرتهم المعروفة في الأمة ، ونفس الكلام يأتي في حكام الدولة العباسية ، وبذلك يبقى التساؤل من غير جواب .

والحق أن جوابه واضح ، حيث هذه التصريحات من قبل الرسول الأكرم ﷺ ، لا تنطبق إلاّ على خلفائه الحقيقين ، وهم علي بن أبي طالب ، وولداه الحسن والحسين ، والتسعة من ولد الحسين (علي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن ومحمد (عج) ، الذي هو مهدي هذه الأمة) .

ومـــن المعلـــوم أن الثامـــن مـــن ولـــد الحســـين عليه السلام (الحسن بن علـــي) الملقـــب بالعســـكري تذكـــر تواريـــخ الطائفة السنية أنه توفي في زمـــن الدولـــة العباســـية ودفـــن ، وهذا الأمر يدفعنا إلى التصديق بما جاء فـــي مصـــادر الشـــيعة مـــن أن الحسن العسكري عليه السلام ولد له ولد قبل أن يفـــارق الحـــياة ، وهـــذا مـــا عليه الطائفة الشيعة ، وعندها بذلك نصوص صـــريحة مـــن النبـــي صلى الله عليه وآله ، ومـــن جمـــيع الأئمة عليهم السلام ، ولولا محدودية المقـــام لأبديـــنا فـــي هـــذا الموضـــوع تفصـــيلا أكـــثر ، وذلك لأهميته ، وللوضـــوح المكتـــنف بـــه ، الـــذي غطته الميول والأغراض ... ، حيث تُثبت حديثاً ، وتعزب عن آخر ، والله وراء الكل .

وتجد بنا الإشارة لحال ولادته ، وما رافقها ، ولو بنحو يسير .

مـــن الملفـــت للـــنظر أنّـــه لمّـــا كـــان جنيناً ، لم ترافقه آثار الحمل وملامحـــه ، حـــتى بالنســـبة لأمـــه . فضـــلا عـــن باقي الناس ، فلم يعلم بحملـــه إلاّ أبـــوه الحســـن العســـكري عليه السلام ؛ وقبيل ولادته بقليل ، زارت أخـــت الإمـــام الهـــادي عليه السلام حكـــيمة بيـــت ابن أخيها العسكري عليه السلام ، وأرادت أن تنصـــرف بعـــد مـــا وصـــلت رحمهـــا بهذه الزيارة ، فقال لها الإمـــام العســـكري عليه السلام : (أمســـي عـــندنا هـــذه الليلة ، فعند فجرها ـــ لـــيلة الخـــامس عشـــر مـــن شـــعبان ـــ سوف يولد لي مولود مبارك) ، فأجابـــته عمـــته : (لا رفـــض لطلـــبك ، ولكنـــي لم أر على نرجس أثار الحمـــل) فقـــال لهـــا : (ســـوف يولـــد عـــند الفجـــر) ومكثـــت المرأة الصـــالحة، التـــي مـــنّ الله علـــيها بالتشرف برؤية الإمام المهدي (عج) ، وقبـــيل الفجـــر قامـــت حكـــيمة تحملهـــا روحها الخفيفة لمصلاها مناجية

ربهـــا فـــي تلـــك الســـاعة ، ومـــن خـــلال ركعات صلاة الليل وأدعيتها ، وطـــوال مكـــثها فـــي مصـــلاها كانـــت تراقـــب نرجس زوج ابن اخيها ، وهـــي نائمـــة بقـــربها نومـــة طبيعـــية ، ومـــا أن ودعت حكيمة ربها في نهايـــة تعـــبدها ، تحركـــت نـــرجس ناهضة من نومها ، تريد التعبّد بأداء صـــلاة اللـــيل ، تقـــول حكـــيمة : (ولـــيس فـــيها من آثار الحمل شيء ، فداخلتنـــي الشـــكوك وإذا بصـــوت ابـــن أخـــي ، ياعمـــة لا تعجلي ! فان الوقـــت قـــد قـــرب) ، وعـــادت نـــرجس إلى فراشها ، وعاودها النوم ، تقـــول : وبقيـــت منتـــبهة أقـــرأ القـــرآن ، فقـــرأت : (ألـــم ، والسجدة ، ويـــس) ، وبيـــنما أنـــا كذلـــك ، إذا انتبهت نرجس فزعة ، فوثبت إليها ، فقلـــت : اســـم الله علـــيك ، هـــل تحســـين شيئاً؟ قالت : بلى ، فقلت : لها إجمعـــي قلـــبك ، ونحـــن كذلـــك أخذتـــنا غفـــوة فما انتبهنا ، إلاّ وصوت المولـــود المـــبارك مـــرددا هـــذه الكلمات (أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أن محمـــداً رســـول الله ، وأن أبـــي أمـــير المؤمنين ، ثم عدّد الأئمة إماماً إمامـــاً إلـــى أن بلـــغ نفســـه ، ثم قال : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، وأتمم لـــي أمـــري ، وثبـــت وطأتي ، وأملأ الأرض بي عدلاً) ، ونزل المولود طاهراً مطهراً مختوناً [1] .

وهـــا هـــو مولانـــا العســـكري عليه السلام يطـــبق السنّة النبويّة في ولده الحجـــة (عـــج) بـــالعق عـــنه ، وإطعـــام المؤمنين ، وبالخصوص الفقراء منهم .

١ــ أعيان الشيعة : ج ٤ سيرة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام ص ١٣.

فأمـــر عليه السلام أبـــا عمـــرو عـــثمان بـــن سعيد : بأن يعق عن المولود الجديـــد عـــدداً مـــن الشـــياة ، وأن يشتري عشرة آلاف رطلا من الخبز ، وعشرة آلاف رطلا لحماً ، ويوزعه على الفقراء[١] .

وقـــد وصـــلت شـــاة مذبوحـــة إلـــى محمـــد بـــن ابراهيم الكوفي ، باعتبارها عقيقة عن المولود الجديد[٢] .

وفـــي الـــيوم الثالـــث مـــن ولادتـــه المـــيمونة أعلن الإمام العسكري عليه السلام عـــنها لأصـــحابه ، وعـــرّفهم إيـــاه ، ونصّ على خلافته وإمامته من بعده، ونـــصّ علـــى أنـــه هـــو القائم ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعَدلاً ، بعد ما تملى ظلماً وجوراً .

ففـــي المـــروي أنـــه جمـــع أصحابه وخواصه من الشيعة ، وجاءهم بمولـــوده ، فقـــال عليه السلام : (هـــذا صـــاحبكم بعـــدي ، وخليفتـــي عليكم ... وهـــو القـــائم ، الـــذي تمـــدّ إلـــيه الأعناق بالإنتظار ، فإذا إمتلأت الأرض جوراً خرج فملأها قسطاً وعدلاً)[٣] .

وقـــد أحيطـــت ولادتـــه بـــنحو من السرّية والكتمان ، خوفاً عليه من الأعداء ، ولم يُبلّغ بها إلاّ الخواص .

كتـــب الإمـــام العســـكري عليه السلام لأحمد بن إسحاق : (ولد لنا مولود

١ــ كمال الدين وتمام النعمة : ص ٤٥٩.

٢ــ كمال الدين وتمام النعمة : ص ٤٦٠.

٣ــ كمال الدين وتمام النعمة : ج ٢ ص ٤٦٠.

فليكــن عــندك مســتوراً ، وعــن جميع الناس مكتوماً ، فإنّا لم نظهر عليه إلاّ الأقــرب لقرابــته ، أحبنــنا إعلامــك ليسرّك الله به ، مثل ما سرّنا به والسلام) [١] .

ولعــل أوســع إعــلان يعلــن فيه عن ولادته (عج) يحضره أربعين شــخص مــن أصــحاب العســكري عليه السلام ، وقــد بلّــغ الإمام ما أمره الله بــإعلان إمامــة المهــدي (عــج) بعــده ، وأنه الحجة على الخلق أجمعين إلــى قــيام يــوم الديــن ، وكــان وقــت هــذا الإعــلان قبيل وفاة الإمام العســكري عليه السلام وممــن حضــر هــذا المجلــس من الشخصيات الشيعية الكبــيرة آنــذاك ، محمــد بــن عــثمان العمــري ، ومعاويــة بن حكيم ، ومحمــد بــن أيــوب بــن نــوح ، وعــرض الإمام العسكري عليه السلام ولده الحجة (عج) عليهم .

قــال عليه السلام : (هــذا إمــامكم مــن بعدي ، وخليفتي عليكم ، أطيعوه ولا تــتفرقوا مــن بعــدي فــتهلكوا فــي أديــانكم ، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا)[٢] .

هــذا حــال ولادتــه فلــم يطّلــع عليها ، إلاّ من ضمنت أمانته وقوة شخصــيته ، مضــافاً إلــى إيمانــه ، كــي لا يتســرب الخبر إلى ضعفاء الــنفوس ، أو إلــى أفــراد الدولــة ، ويبقى الحال على هذا حتى وفاة والده العســكري عليه السلام ، وإعــلان الغيــبة الصــغرى للإمام الموعود بنشر الدين

١ــ كمال الدين وتمام النعمة : ج ٢ ص ٤٦٠.

٢ــ كمال الدين وتمام النعمة : ج ٢ ص ٤٦٠.

كله .

عــن أبــي عــبد الله عليه السلام حيــث ســئل عن سيرة المهدي (عج) ، قــال: (يصــنع كمــا صــنع رســول الله صلى الله عليه وآله ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الجاهلية ، ويستأنف الإسلام جديداً)[1] .

وشــدة الكــتمان التــي رافقت ولادته (عج) ، تكشف وبوضوح عن مدى أهمية الأمر وخطورته .

أمــا أهميــته فهــو الإمــام الأخــير فــي سلسلة الأئمة المعصومين عليهم السلام ، الذيــن هــم أو صــياء النبــي صلى الله عليه وآله فــي خلافته ، وقد أنيط بهذا الإمام أن يحكــم الأرض بديــن الإســلام ، ويمحــي آثــار الجاهلــية ، التي وجدت طــريقها فــي العــود للمجــتمع الإسلامي ، من خلال سقيفة بني ساعدة ، إلــى أن تمكنــت مــن المسلمين طيلة العصور والأزمنة ، ويهدم الأديان المــزيفة ، المســماة بأســماء الأديــان الســماوية الســابقة كالــيهودية ، والنصرانية ، بل كل الديانات المبدعة على وجه الأرض.

وأمــا خطورتــه ، فلإقــدام السلطة الأموية ثم العباسية على قتل الأئمــة عليهم السلام ، بــل هــي تقــدم على قتل وتشريد العلويين لمجرد إنتسابهم لهــذا النســب ، وإن كــان مذهــبهم وطريقــتهم غير ما عليه الأئمة عليهم السلام كــبعض أولاد الحســن المجتــبى عليه السلام ، وأخــوة وأولاد زيــد الشــهيد أخــو الإمــام البــاقر عليه السلام ؛ فعــندما يعلــم العباســيون بــأن للحســن

١ــ الغيبة للنعماني : ص ١٥٣.

العسكري عليه السلام ولد ، وليس له غيره ، يثبت عندهم إن الإمامة منحصرة فيه ، فيلاحقوه ويقتلوه ما دام صبياً ، لعلمهم المسبق بأنه الإمام الثاني عشر، الذي يزيل كل الحكومات الظالمة ، فإن كان في آبائه عليهم السلام كبير الخطر عليهم ، ففيه (عج) هلاكهم المحتوم .

النقطة السادسة:

طبيعيّة طول عمر الإمام المهدي (عج)

قال الشيخ المفيد : (وإن خرج عما نعهده نحن الآن من أطوال عمر البشر، فليس بخارج عن عادات سلفت لشركائه في البشرية ...) .

بعـــد مـــا تبيـــن أن الإمـــام المهـــدي (عج) ، قد ولد عام ٢٥٥هـــ ، ولـــم يقـــم بالمهمـــة التـــي انيطـــت به ، من إملاء الأرض قسطاً وعدلا ، وأن يملـــك الأرض ... ، وقـــد مـــرت الأعـــوام تلـــو الأعـــوام ، والأمر ســـهل للحـــد الـــذي يعيشـــه أبـــناء تلـــك الأزمـــنة ، والـــذي يقدر بالمائة والعشـــرين ، فمـــن زمـــن ولادتـــه إلـــى ســـنة ٣٧٥ هـــ يكـــون بقاؤه حـــياً مســـألة طبيعـــية ، ولكـــن لـــم تـــر أجـــيال تلـــك الأزمنة خروجه وظهـــوره (عـــج) ، بـــل ولم تر الأجيال المتعاقبة بعدها إلى زماننا ذلك ، وبـــذا يخـــرج عمـــر الإمـــام المهـــدي (عج) عن العمر الطبيعي المحدد ، فـــيكون عمـــره (عـــج) إلـــى زمان كتابة هذه الكلمات ما يقرب من ١١٧٠ سنة ، ولعل يستمر الغياب ، فيرتفع هذا الرقم أكثر فأكثر .

وقـــد تقـــدم مـــنّا الكـــلام ، وكان على مراحل ، ومن خلالها تبين أن طبيعـــيّة العمـــر مرتهـــنة بـــأمور عـــدّة ، منها: ما هو مادي ، ومنها : ما هـــو معـــنوي ، ومـــنها: ما هو داخل في دائرة إختيار الإنسان ، ومنها ما هـــو خـــارج عـــن دائـــرته ، هذا مضافاً إلى الأجل الذي قدّره الله سبحانه، الـــذي يقـــبل التغـــير والتبديل ، فما يعيشه الإنسان ضمن هذه الأمور هو

العمر الطبيعي .

وأمـــا العمـــر الـــذي يطلـــق علـــيه عـــوام الـــناس أنه عمر طبيعي للعصـــر الفلانـــي ، أو لـــبلد مـــا ، فلـــيس مـــن العمر الطبيعي في شئ ، وإنمـــا هـــو العمـــر الغالـــب ، وفـــرق كبـــير بين ما هو الغالب ، وما هو طبيعـــي ، وكيفـــية الـــتفريق بينهما ، أن العمر الغالب يركن تحت السلوك الجمعـــي للـــناس ، وهـــذا الســـلوك ممـــا يحويه الخطأ ظهراً على بطن ، حيـــث يـــترك الإنســـان إبداع الفكر عنده ، ويريح نفسه بما ينتجه السلوك الجمعـــي ، والملاحـــظ علـــى الســـلوك الجمعـــي ، أنـــه يسير دائماً على العادات والطبائع الموروثة ، من غير تميّز لصحها من خطائها .

مـــع أنـــنا حســـب مـــا مـــرّ علينـــا من البحث ، رأينا أن الأسباب والعلـــل المؤثـــرة لإطالـــة العمـــر تحتاج إلى إعمال الفكر ، بالبحث عنها ومعرفـــتها ، ثـــم تطبـــيقها ، هـــذا بالنســـبة للعوامـــل الداخلة ضمن دائرة الإنســـان ، وأمـــا الخارجـــة عن إرادته ، فهي تعمل على وفق المصالح ، التـــي لا يعلمهـــا إلاّ الله ســـبحانه ، الـــذي يقوم عمله على الحكمة والكمال بأتمهمـــا ، فالعمـــر الطبيعـــي لا مجـــال فـــيه للغالـــب مـــن الأعمار ، أو المتعارف في الأعصار والبلدان .

فالعمـــر الطويـــل يمكـــن حصـــوله ، لأي فـــرد ، وفي أي زمان ، وذلك ضمن العوامل المؤثرة في إطالته .

ولـــم تشـــهد الكـــرة الأرضـــية ، والمجوعـــة البشـــرية ، رجـــالا عـــرفوا بـــالعلم والفهـــم والإيمـــان والإعـــتقاد أفضـــل مـــن الرسول صلى الله عليه وآله

والائمــة عليهم السلام ، فهــم أقــرب الــناس للوصــول لأطــول عمر يقدره الله عــزّ وجــلّ ، هــذا لــو كــنا والأســباب المادية ، أو المعنوية الداخلة في دائــرة إختــيار الإنســان ، ولكــنّا قلــنا أن لله ســبحانه تقديــر في عمر الإنســان ، وذلــك حســب ما تقتضيه المصلحة الكبرى ــ ما يعّم الإنسان والمجــتمع ــ ، فلعــل المصــلحة أقتضــت أن يكون عمر رسول الله صلى الله عليه وآله ثــلاث وســتين ســنة ، وكــذا عمــر أحــد عشــر خليفة من خلفائه ، فلم يــتجاوز عمــر أحدهــم ســبعين سنة ، مع أنهم راعوا كل العوامل المؤثر فــي إطالــة الأعمــار ، ولكــن ذلك السير في التقدير لأعمار الأئمة عليهم السلام ، لا يمنحــنا ترخــيص بــأن نقــول أن عمــر الإمام المهدي (عج) كأعمار آبائــه عليهم السلام فــي القصــر ، وإنمــا عمره (عج) يخضع للعوامل والأسباب المطــيلة للعمــر الإنســاني حســب القــاعدة ، مضــافاً للــتقْدير الإلهــي للمصــلحة فــي حــياته (عــج) ، وكــلا الأمريــن ممكــنا الحصول ، بل وحصــلا لغــيره مــن الناس ، كما مرّ علينا في أخبار المعمرين من أبناء البشرية .

قــال الشــيخ المفــيد : (وإن خرج عما نعهده نحن الآن من أطوال عمــر البشــر، فلــيس بخــارج عــن عــادات سلفت لشركائه في البشرية وأمــثالهم فــي الإنســانية ومــا جــرت بــه العــادة في بعض الأزمنة لم يمتــنع وجــوده فــي غــيرها ، وكــان حكم مستقبلها كحكم ماضيها على البيان)[1].

١ــ الفصول العشرة : ص ٩٢.

فـــالمدّ فـــي عمـــره الشـــريف غير خارج عن دائرة العمل في إطالة الأعمـــار ، والمصـــلحة المقـــدرة ، والإمكـــان ، وبذلـــك يستنتج أن عدم الإقتـــناع فـــي طـــول عمره (عج) ليس له مبرر غير الميول والأغراض، فلـــو كـــان لغـــيره مـــن الناس ما كان له (عج) من طول العمر ، لأصبح شـــاهداً مـــن شـــواهد المعمريـــن ، هذا كله من جانب ، ومن جانب آخر ، أن الرســـول نـــصّ علـــى أن خـــروجه وظهور حتمي ، سواء طال عمره أم قصر .

عـــن أبـــي الصـــديق الناجـــي عـــن أبـــي سعيد الخدري قال : قال رســـول الله ﷺ : (يكـــون فـــي أمتـــي المهـــدي إن طال عمره أو قصر عمـــره يملـــك ســـبع ســـنين أو ثمانية سنين أو تسع سنين ، فيملأها قسطاً وعـــدلا كمـــا ملئـــت جـــوراً ، وتمطـــر الســـماء مطرها وتخرج الأرض بركاتها ، قال : وتعيش أمتي في زمانه عيشاً لم تعشه قبل ذلك)[1].

فمســـألة العمـــر فـــي الإعـــتقاد بالإمام المهدي (عج) تابعة لوجوده ، ولـــيس لهـــا دخـــل في مهمته ــ تطبيق الأطروحة الإسلامية ــ السامية ، ومـــن قـــبل بقـــول رســـول الله ﷺ بالمهدي من هذه الأمة ، عليه أن يقبل به سواء طال عمره أم قصر .

فالمتحصـــل أن مســـألة إطالـــة عمـــر الإمـــام المهدي (عج) داخلة ضـــمن إطـــر علـــل وأســـباب إطالة الأعمار ، وضمن إرادة الله سبحانه ، وقـــد تبيـــن أن كـــل ذلـــك ممكن الحصول ، لإنسان لم يكن من المعمرين

١ــ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي : ج ٨ ص ٦٧٨.

السابقين ، فيكون من المعمرين اللاحقين ، وشاهد حي للمستدلين في هذا المجال .

هذا كله بحسب الوضع الطبيعي في إطالة الأعمار ، فكما هو وارد في الناس كذلك في الإمام المهدي (عج) ، ولكن ذلك لا يمنع من أن العمر الطويل ، إذا وقع ضمن حالة إعجازية يكون إعجازي ، والناظر في الروايات الواردة في مولانا صاحب الزمان (عج) ، منذ ولادته إلى ما بعد ظهوره ، يجد أن الأعجاز هو الغالب عليها ، فروايات ولادته وحمله تحكي ، أن آثار الحمل لم تظهر على أمه رضوان الله عليها ، وكذا الحال في ولادته ، وروايات الغيبة الأولى (الصغرى) حيث علمه بالحوادث والحاجات ، وروايات الغيبة الثانية (الكبرى) وعمره الطويل ، وأنه محفوظ من كل شيء ، وهكذا الحال مع روايات الظهور ، ومعاملته مع أنصاره ، ومحاربة أعداءه .

والصحيح عندنا أنّ الغيبة للإمام (عج) إعجازية ، بإعتبار عدم مغلوبية سببها ، فهي حاصلة للإمام (عج) ، وهو فيها حي يرزق إلى يوم ظهوره ، وبعد ظهوره ، وسوف ينتصر ، ويأتي بيوم العدل ، الذي وعدت به البشرية ؛ ولا يمكن أن يستعاض عن غيابه بسبب آخر ، لورود الإحتمالات المعاكسة على شخص الإمام (عج) ، فلا يبقى محفوظاً ، ولا أنه مجهول وبتقدم العلم يمكن أن يكشف فيبطل ذلك الإعجاز .

النقطة السابعة :

حساب عمر الإمامة

(أمـــا والله ليغيبـــنَّ عـــنكم مهديكم حتّى يقول الجـــاهل مـــنكم مـــا لله في آل محمد حاجة ، ثمَّ يقـــبل كالشـــهاب الثاقب ، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)

الإمام الصادق عليه السلام

أمم ، حضارات ، مجتمعات ، دول ...

يحكي تاريخ الإنسانية عن قيام تلك الكيانات ، وحكايته عنها في ثلاث مراحل اساسية (مرحلة تولدها ، ومرحلة نهوضها ، ومرحلة سقوطها) ، والذي يجمع المراحل الثلاثة ، عمر تلك الكيانات، وقد يستغرق هذا العمر ، أعمار أجيال من أبنائها ، فعمر الأمم والحضارات ... هو عمر مجموع أجيالها ، ولذا يصحّ مخاطبة مجموع أجيالها بخطاب واحد ، بل وكل جيل من أجيالها ، ويؤيد ذلك افتخار جيل أو فرد من جيل بأمته أو حضارته ... ، وإن كان هو من آخر أجيالها ، بل وتفتخر بها الأجيال بعد سقوطها ، لكونهم سكان على الأرض ، التي قامت عليها تلك الأمة أو الحضارة ... .

قال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ** ﴾[1] .

فيوجد عمران للإنسان : الأول : عمر لنفس حياته ، وهو

١ــ سورة الرعد : من آية ٣٠.

العمـــر الفـــردي ؛ والثانـــي : عمـــر للأمـــة والحضـــارة ... التي يعيشها وهو العمر الإجتماعي .

قـــال تعـــالى : ﴿ **بَـــلْ مَتَّعْـــنَا هَـــؤُلاءِ وَآبَـــاءَهُمْ حَـــتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ** ﴾[1] .

القـــرآن يعـــدّ عمـــر سلســـلة الآبـــاء الماضين ، والأبناء الذين كانوا محـــل الخطـــاب عمـــراً واحـــداً ، وكمـــا أن الإنسان مسؤول عن عمره الفـــردي ، مســـؤول عـــن عمـــره الإجتماعـــي ، فكـــلا العمرين في ذمة الإنســـان ، وعلـــيه صـــونهما ، والعمـــل على إطالة أمدهما بكل ما رزق من حول وقوة .

والأمـــة الإســـلامية مـــن بيـــن الأمـــم التي وجدت على سطح الكرة الأرضـــية ، وقـــد حكـــى عنها رائدها وقائدها ﷺ أن لها اثنى عشر قائداً بعـــده ، يقومـــون بهـــا علـــى ســـيرته ونهجه ، كي يمكنها مواكبة الزمان والأجـــيال ، فـــي بـــثّ الصـــحيح مـــن المعتقد ، والتربية ، والأخلاق ، والـــثقافة ، والعلـــوم ... ، ويمكـــنها دفـــع أعدائهـــا ، وحفـــظ نفسها من الأشرار ، الذين يريدون قتلها وطمسها .

وهـــا هـــي الأمـــة الإســـلامية تعيش عمرها ، وسوف يستغرق ذلك العمـــر أجـــيالا مـــن المســـلمين ، والجديـــر بالإنتباه أن لكل عمر أجل ، ســـواء كـــان العمـــر الفـــردي ، أم العمر الإجتماعي ، فالمسلمون كما لكل

١ــ سورة الأنبياء : من آية ٤٤.

فـــرد مـــنهم عمـــر يخـــتم بأجل ، فكذلك أمتهم ، وهذه سنة الله سبحانه في الأفراد والأمم... .

قـــال تعـــالى: ﴿ **وَلِكُـــلِّ أُمَّـــةٍ أَجَـــلٌ فَـــإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾[1] .

ومـــن المعلـــوم أنّ رســـول الله ﷺ قـــد أشار في أحاديثه إلى عمر أمـــته ، وذلـــك مـــن خـــلال ذكـــر عـــدد قادة الأمة ــ إثنا عشر إمام ــ بعـــده، بـــل وفـــي بعـــض أحاديثه ذكرهم بأسمائهم ، وبذلك يكون مجموع عمر الأمة الإسلامية عمر هؤلاء الأئمة عليهم السلام .

عـــن عـــبد الله بـــن عمـــر قـــال : قـــال رسول الله ﷺ : (إن الله أوحـــى إلـــي لـــيلة أســـرى بي ، أني خلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمـــة مـــن نـــور واحد ، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة ، فمن قبلها كـــان مـــن المقرّبيـــن ، ومن جحدها كان من الكافرين ، ثم قال : يا محمد أتحـــب أن تـــراهم ، فقلـــت : نعـــم ، فقال : تقدم أمامك ، فتقدمت أمامي ، فـــإذا علـــي بـــن أبـــي طالب ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمـــد بـــن علـــي ، وجعفـــر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موســـى ، ومحمـــد بـــن علـــي ، وعلـــي بـــن محمد ، والحسن بن علي ، والحجـــة القـــائم كأنّـــه الكوكـــب الـــدرّي في وسطهم ، فقلت : يا رب من هـــولاء ، قـــال : هـــولاء الأئمـــة ، وهـــذا القـــائم محلل حلالي ، ومحرم حرامـــي ، وينـــتقم مـــن أعدائـــي ، يـــا محمد أحببه ، فإني أحبه ، وأحب

١ــ سورة الأعراف : آية ٣٤ .

من يحبه)[١] .

والكتب التأريخية تنقل أن أحد عشر إمام قد ولدوا ، ثم ماتوا ، وكان آخرهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، وقد توفي في سنة ٢٦٠هـ ، والوقوف عند هذا الأمد من الزمان فيه مخالفة واضحة ، لما نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، في عدد الأئمة من بعده .

ولو بنينا على القول بأن الإمام الأخير في سلسلة الإمامة ، يولد في آخر الزمان ، ففيه من المحاذير ما لا يمكن دفعها ، ولكن نشير إلى واحد منها ، والذي هو محل الكلام ، وهو لو كانت ولادة الإمام الثاني عشر في آخر الزمان ، كيف يكون حساب عمر الإمامة ، التي نصّ عليها رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

ومن الطبيعي أنه لا يمكن القول بأن الإمامة توقفت ، عند رحيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن دار الدنيا ، وسيستمر التوقف إلى زمان ولادة الإمام المهدي (عج) ، فإنه قول بلا دليل ، بل قول لا يرتضيه العقلاء ، حيث إن العمر للإمامة لا بدّ أن يكون مستمر بلا إنقطاء ، كي يصحّ تسميته بالعمر .

وبذلك يتبن القول الصحيح ، وإن كان بيّن من الأول ، وهو أن الإمامة عمرها مستمر ، ولم ينقطع في يوم ، ولا يمكن أن ينقطع، حيث إن الإمام العسكري عليه السلام ولد له ولد ، وهو الامام الثاني

١ــ الغيبة للنعماني : ص ٥٩ ــ ٦٠.

عشـــر (عـــج) فـــي سلســـلة الأئمـــة ، والـــذي به يتم عمر الإمامة ، التي خلفـــت رســـول الله ﷺ لتطبـــيق الإطـــروحة الإســـلامية بأكملها ، فينعم الناس بنعيمها ، وتستريح النفوس لسماحتها .

وبذلـــك يكـــون عمـــر الإمـــام المهـــدي (عـــج) ، عمر الإمامة ، وحســـاب عمـــر الإمامـــة واضـــح ، من خلال نصوص رسول الله ﷺ ، فـــي عـــدد نوابهـــا ، لا أنهـــا تحســـب بعدد السنين والشهور والأيام ، كما يحسب عمر الإنسان الفردي ، أو أجل الدَّين ... .

ولا يـــزال أن الإمـــام المهـــدي (عـــج) قـــد شُخصت ولادته ـــ سنة ٢٥٥ هـــ ـــ وأنـــه ابـــن الإمـــام الحسن العسكري عليه السلام فما على الناس إلاّ الإنـــتظار لظهـــور ذلـــك الإمـــام ، كي تتم سلسلة الأئمة عليهم السلام ، وسير عمـــر الأمـــة الإســـلامية ، والـــنظر إلـــى ذلك أولى من النظرْ إلى حساب ســـنين عمـــر الإمـــام المهـــدي (عج) ، حيث إن المدار على الإيمان بغيبته وظهوره ، وأما عدد السنين ، فتابع لهما ، لا أن المسألة بالعكس .

عـــن الفضـــيل قـــال : ســـألت أبا جعفر عليه السلام هل لهذا الأمر وقت ؟ فقال : (كذب الوقّاتون ، كذب الوقّاتون ، كذب الوقّاتون)[١] .

عـــن عـــبد الرحمـــن بـــن كثير قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخـــل علـــيه مهـــزم الأســـدي فقال : أخبرني ـــ جعلت فداك ـــ متى هذا الأمـــر الـــذي تنـــتظرونه ؛ فقـــد طـــال ؟ فقـــال عليه السلام: (يـــا مهزم كذب

١ـــ الغيبة للنعماني : ص ٢٨٦.

الوقّاتون ، وهلك المستعجلون ، ونجا المسلّمون ، وإلينا يصيرون)[١].

فمن هذه النصوص وغيرها يتبين أن الوقت ليس له مدخلية في مهمة الإمام المهدي (عج) ، وإنما المهمة كامنة في نفسها ، لاحتياج أبناء البشرية لها ، ولذا الأمل بالمصلح لم يكن من مختصات الأمة الإسلامية بطوائفها ، فاليهودية والمسيحية وغيرهما من له ارتباط بالشرائع السماوية كذلك ، بل وإن الأمر أوسع ، فيشمل كل إنسان ، حيث إن كل فرد يحب أن يرى العدل ، وتوزيع الحقوق ، والأمان ، والإحسان ... منتشر على ربوع المعمورة ، وقد جاءت الروايات تؤكد هذا المطلب .

عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : (تأوي إليه أمته، كما يأوي النحل إلى يعسوبها ، يملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً ، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول ، لا يوقظ نائماً ، ولا يهريق دماً)[٢] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (بنا يفتح الله ، وبنا يختم الله ، وبنا يمحو ما يشاء ، وبنا يثبت ، وبنا يدفع الله الزمان الكلب ، وبنا ينزل الغيث ، فلا يغرّنكم بالله الغرور ، ما انزلت السماء قطرة من ماء منذ حبسه الله عزَّ وجلَّ ، ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها ، ولذهبت الشحناء من قلوب

١ــ الغيبة للنعماني : ص ٢٨٦.

٢ــ معجم أحاديث الأمام المهدي (عج) : ج ١ ص ٢٢٠.

العـــباد، واصـــطلحت الســـباع والـــبهائم ، حـــتى تمشي المرآة بين العراق إلـــى الشـــام لا تضـــع قدمـــيها إلاّ علـــى نبات ، وعلى رأسها زينتها ، لا يهـــيجها ســـبع ولا تخافـــه ، لـــو تعلمـــون مـــا لكم في مقامكم بين عدوّكم وصبركم على ما تسمعون من الأذى لقَرّت أعينكم)[١] .

فـــإن اهـــتمّ البشـــر فـــي حســـاب شـــئ ، فهـــذا الأمـــر ـــ ظهور المهـــدي (عـــج) ـــ أولـــى بالإهـــتمام ، وحساب هذا ليس بالسنوات ، فإن امـــتدت الغيـــبة قـــيل طال عمر صاحبها ، وإن قصرت قيل قصر عمره، بـــل حســـاب ذلـــك في عدد الأئمة الذين خلفوا رسول الله ﷺ ، ولابد من تمـــام عدّتهـــم ـــ اثـــنا عشر ـــ التي حددها الرسول ﷺ ، حتّى يكون في اخرهم حظ قيادة مهمة إصلاح البشرية .

عـــن صـــفوان بـــن مهـــران الجمّال قال : قال الصادق عليه السلام: (أما والله ليغيبـــنَّ عـــنكم مهديكـــم حـــتّى يقول الجاهل منكم ما لله في آل محمد حاجـــة ، ثـــمَّ يقـــبل كالشـــهاب الثاقـــب ، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)[٢] .

وعـــن حـــنان بـــن ســـدير عـــن أبـــيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إنّ للقـــائم مـــنّا غيـــبة يطـــول أمدها ، فقلت له : ولم ذلك يا ابن رسول الله ؟ قـــال : إنّ الله عـــزَّ وجـــلَّ أبـــى إلاّ أن يجـــري فيه سنن الأنبياء في غيـــباتهم ، وإنّـــه لابـــدّ له يـــا سدير من استيفاء مدد غيباتهم ، قال الله عزَّ

١ـــ بحار الأنوار : ج ٥١ ص ١٤٢ـــ ١٤٣.

٢ـــ كمال الدين وتمام النعمة : ص ٣٤٢.

وجلّ ﴿ **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ** ﴾ أيّ سنناً على سنن من كان قبلكم)[١] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (وأنّ للقائم منّا غيبتين إحديهما أطول من الأخرى ، فلا يثبت على إمامته إلا من قوي يقينه وصحّت معرفته)[٢] .

فلابد من التفريق في نوعيّة الحساب ، حيث إن الأشياء والأمور مختلفة ، وباختلافها يختلف مقياس حسابها ، واستخدام مقياس من الحساب في غير محله لا يكون إلاّ عن جهلٍ ، أو للمغالطة والإيهام كي لا يظهر الحق والصواب .

فالتفريق في نوعيّة الحسابات ، من مصاديق الفكر السليم ، والقلب الواعي ، والأذن الصاغية .

ونسأل الله أن يمنّ علينا ، وعلى من قرأ هذه الكلمات ، أن يرزقه ذلك ، ويوفقنا لأن نكون في محل رضا إمام زماننا (عج) ، وأئمتنا السابقين عليهم السلام ، ورسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله .

الشيخ نجم السبتي

٢٥/ رجب / ١٤٢٥

١ــ بحار الأنوار : ج٥٢ ص ٩٠.

٢ــ ينابيع المودة : ص ٤٢٨ ــ ص ٤٢٩ .

المصادر ١٣٥

المصادر

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ مفــردات الفــاظ القــرأن / الراغــب الاصفهاني / طبعة اسماعليان ــ قم ــ ايران.

٣ ــ الكافــي / محمــد بــن يعقــوب الكليني / الطبعة الثالثة ــ ١٣٨٨هــ / الناشر : دار الكتب الاسلامية ــ آخوندي ــ قم ــ ايران .

٤ ــ بحــار الانــوار / محمــد باقــر المجلسي / الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هــ الناشر مؤسسة الوفاء ــ بيروت ــ لبنان .

٥ ــ الغيــبة للنعمانــي / محمــد بــن ابراهــيم النعمانــي / طبع ونشر : مكتبة الصدوق ــ طهران ــ ايران .

٦ ــ كمــال الديــن وتمــام الــنعمة / الشيخ الصدوق / الطبعة ١٤٠٥ هــ / الناشــر : مؤسســة النشــر الاســلامية التابعة لجامعة المدرسين ــ قم ــ ايران.

٧ ــ الإرشــاد فــي معــرفة حجج الله على العباد / الشيخ المفيد / الناشر:

دار المفيد .

٨ ــ عيوان أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق / الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ / الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ــ بيروت ــ لبنان .

٩ ــ شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / الناشر : دار إحياء الكتب العربية .

١٠ ــ الميزان في تفسير القرآن / العلامة الطبأطبائي / الطبعة الخامسة ١٤١٢ هـ ق ــ ١٣٧١ هـ . ش / الناشر : اسماعيليان ــ قم ــ ايران .

١١ ــ تفسير العياشي / النضر بن محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي / الناشر : المكتبة العلمية الاسلامية ــ طهران ــ ايران .

١٢ ــ مجمع البيان في تفسير القرآن / أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي / الطبعة الاولى ١٤١٥هـ / الناشر ــ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت لبنان .

١٣ ــ علل الشرائع / الشيخ الصدوق / الناشر : المكتبة الحيدرية في النجف ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م .

١٤ ــ شرائع الاسلام في الحلال والحرام / المحقق الحلي / الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / الناشر : امير ــ قم ــ ايران .

١٥ ــ توحيد للمفضل / إملاء الامام أبي عبد الله عليه السلام على المفضل بن عمر الجعفي / الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ / الناشر : مؤسسة الوفاء .

١٦ ــ الدر المنثور (وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس / جلال الدين السيوطي / الطبعة الاولى ١٣٦٥هـ / الناشر : دار المعرفة .

١٧ ــ أعيان الشيعة / المجتهد الاكبر السيد محسن الامين / الناشر : دار التعارف للمطبوعات ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

١٨ ــ الاحتجاج / احمد بن علي الطبرسي / الناشر : دار النعمان .

١٩ ــ عوالي اللئالي العزيزية في الاحاديث الدينية / ابن أبي جمهور الاحسائي / الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م / مطبعة سيد الشهداء ــ قم ــ ايران .

٢٠ ــ منتخب الاثر في الامام الثاني عشر عليه السلام / آية الله الصافي الكلبايكاني / الطبعة الثانية : مؤسسة السيدة المعصومة عليها السلام ــ قم ــ ايران.

٢١ ــ كنز الفؤاد / المحدث الكبير العلامة ابن الفتح محمد بن علي الكراجكي / الطبعة الثانية / الناشر : مكتبة المصطفوي ــ قم ــ ايران .

٢٢ ــ الفصول العشر / الشيخ المفيد / الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ــ

١٩٩٣م / الناشر : دار المفيد ــ بيروت لبنان .

٢٣ ــ عجائب الملكوت / عبد الله بن محمد بن عباس الزاهد / الطبعة الاولى ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م / الناشر : دار المحجة البيضاء ــ بيروت ــ لبنان .

٢٤ ــ مكارم الاخلاق / الطبرسي / الطبعة السادسة ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٢ م / الناشر : منشورات الشريف الرضي .

٢٥ ــ عيون الحكم والمواعظ / علي بن محمد الليثي الواسطي / الطبعة الاولى ١٣٧٦هـ ش / الناشر : دار الحديث ــ قم ــ ايران .

٢٦ ــ المزار (مناسك المزار) / الشيخ المفيد / الطبعة الأولى / الناشر : مدرسة الامام المهدي (ع) ــ قم ــ ايران .

٢٧ ــ صحيح الترمذي / طبعة دهلي ١٣٤٢هـ .

٢٨ ــ المعجم الكبير / سليمان بن أحمد نب أيوب اللخمي الطبراني: الطبعة الثانية / الناشر : مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة ــ مصر.

٢٩ ــ المصنف / ابن أبي شيبة الكوفي / الطبعة الاولى : ١٤٠٩هـ / الناشر : دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان .

٣٠ ــ مسند أحمد / الامام أحمد بن حنبل / الطبعة والناشر : دار صادر ــ بيروت ــ لبنان .

٣١ ــ سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي / الناشر : دار

الفكر ١٤٠٣هـ ـ بيروت ـ لبنان .

٣٢ ـ انساب الاشراف / أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري / الطبعة الاولى ١٣٩٤هـ / الناشر : مؤسسة الاعلمي ـ بيروت ـ لبنان .

٣٣ ـ معجم البلدان / الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٣٤ ـ الانوار البهية في تواريخ الحجج الالهية / الشيخ عباس القمي / الطبعة الاولى ١٤١٧هـ / الناشر : مؤسسة النشر الاسلامية التابعة لجامعة المدرسين ـ قم ـ ايران .

٣٥ ـ البيان في اخبار صاحب الزمان

٣٦ ـ خزانة الادب / تقي الدين أبي بكر بن علي عبد الله الحموي الأزراري / الطبعة الاولى ١٩٨٧م / الناشر : دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ لبنان .

٣٧ ـ قرى الضيف / عبد الله بن محمد بن عبيد بن شعبان بن قيس / الطبعة الاولى ١٩٩٧م / الناشر : أضواء السلف ـ الرياض ـ السعودية .

٣٨ ـ مقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن بن محمد بن خلدون / الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعا ـ بيروت ـ لبنان .

٣٩ ـ صحيح البخاري / محمد بن اسماعيل البخاري / طبعة

بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باسطنبول ١٤٠١هـ / الناشر : دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان .

٤٠ ـ الغذاء لا الدواء / الدكتور صبري القباني / الطبعة التاسعة عشر ١٩٨٧م / الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان .

٤١ ـ ميزان الحكمة / محمد ري شهري / الطبعة الاولى / الناشر : دار الحديث ـ قم ـ ايران .

٤٢ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / اسماعيل بن حماد الجوهري / الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ / الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان .

٤٣ ـ لسان العرب / العلامة ابن مظور / الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ / الناشر : نشر أدب الحوزة ـ قم ـ ايران .

٤٤ ـ هذا خلق الله / الشيخ فيصل منصري / الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م / الناشر : دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

٤٥ ـ ينابيع المودة لذوي القربى/ الشيخ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي / الطبعة الاولى ١٤١٦هـ / الناشر : دار الاسوة .

٤٦ ـ مجمع البحرين / الشيخ فخر الدين / الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / الناشر : مكتبة نشر الثقافة الاسلامية .

٤٧ ــ الــدروس الشــرعية / الشــهيد الاول قــدس سره / الطبعة الاولى ١٤١٤هــ / الناشــر : مؤسســة النشر الاسلامية التابعة لجامعة المدرسين ــ قم ــ ايران .

٤٨ ــ كــنز العمــال / المتقــي الهــندي / المطــبعة والناشــر : مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ لبنان .

٤٩ ــ مصــنّف عــبد الــرزاق / أبو بكر عبد الرزاق / الناشر : المجلس العلمي .

المحتويات

مقدمة ٧
النقطة الاولى : العمر ١١
النقطة الثانية : حساب عمر الإنسان ٢١
النقطة الثالثة : العوامل المؤثرة في إطالة العمر ٢٩
السبب الاول : الغذاء ومستلزمتها ٣١
السبب الثاني : البيئة وأحوالها : ٤١
السبب الثالث : أعمال الإنسان : ٦٠
السبب الرابع : الإرادة الخارجية ٧١
النقطة الرابعة : طبيعية طول عمر الإنسان ٧٩
النقطة الخامسة : الإمام المهدي (عج) ٩٩
النقطة السا دسة: طبيعية طول عمر الإمام المهدي (عج) ١١٧
النقطة السابعة : حساب عمر الإمامة ١٢٥
المصادر ١٣٥